

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم



كلية الأدب والفنون

قسم الأدب العربي

تخصص أدب قديم

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي "أدب قديم" الموسومة بـ:

## الخصائص الفنية للنقائض في العصر الأموي

نونية جرير والفرزدق والأخطل أنموذجا

- تحت إشراف الأستاذ المحترم:

بن ادريس عمر

- من إعداد الطالبة:

حمدي باي فاطمة

السنة الجامعية: 1438 /1439 هـ ... 2017 /2018 م

# شكر وتقدير

شكري لله سبحانه وتعالى أولا وأخيرا على ما أسبغ علي من النعم أولها الصبر على  
البلوى في أثناء دراستي.

واعترافا بالفضل لذويه، يسعدني أن أعبر عن بالغ امتناني لأستاذي المشرف "بن  
ادريس عمر" الذي غمرني برعايته الكريمة وتوجيهاته السديدة وتقويمها لبحثي لغة وأسلوبا.

وأنثر زهور الشكر والامتنان على جميع من ساعدني ومدّ لي يد العون من أصدقاء  
وأقارب وفقهم الله جميعا لكل خير إنه نعم المولى ونعم النصير.

# إهداء

إلى من أنعم علي بنعمة الصبر والتفأول، فتح علي أبواب الفضيلة، إليك ربّي وخالقي  
وبارئي. لا إله إلا أنت سبحانك.

إلى الوالدين الحبيين اللذين لم يبخلا علي بأيّ شيء وكانا بجانبني طوال مشواري  
الدراسي، وكانا لي سندا في كل خطوة خطوتها، وبالأخص أمي الحبيبة والعزيزة التي كانت  
توأم الروح، وكانت الصديقة والصّاحبة، أقولها وبكل فخر أحبّك يا أمي الغالية.

إلى من أنقاسم معهم حلو الحياة ومرّها، أخواتي نادية، فتيحة، فضيلة، وإخواني فتحي  
ومحمد وإلى زوج أختي العزيز الحاج.

إلى الكتاكيت الصغار بسمة، هوارية، محمد، وعبد الإله.

إلى خالاتي وبنات خالاتي وبنات عمي الأعزاء.

إلى صديقاتي اللواتي صاحبنني في مشواري الدراسي سواء من قريب أو بعيد.

من أعماق قلبي وبكلّ صدق، أتقدّم بأسمى عبارات الشكر والتقدير إلى أستاذي  
المشرف "بن ادريس عمر" الذي استعدت كثيرا من ملاحظاته وتوجيهاته، والذي رافقني طيلة  
هذا البحث. ولا يسعني إلا أن أقول له جزاه الله. "جزاك الله خيرا في الدنيا والآخرة".

إليكم جميعا راجية من المولى عزّ وجلّ أن يتقبله مني وينفع به غيري.

مقدمه

## مقدمة

تعد النقائض من أرقى الفنون التي برزت في العصر الأموي، فقد كانت ظاهرة أدبية مميزة، حيث مثلت شكلا من أشكال الصراع الأدبي بين الشعراء، وبالرغم من أن جذورها تمتد إلى العصر الجاهلي إلا أنها تعتبر لونا جديدا من ألوان الأدب والمناظرات الأدبية، لما أحدثته من تقنيات جديدة في مجال الجدل والمُحَاجَجة.

وقد ظهرت النقائض بصورة كاملة في العصر الأموي على يد ثلاثة فحول هم جرير والفرزدق والأخطل؛ على شكل قصائد طويلة عموما، امتازت بالقوة والبلاغة والعاطفة الشعرية، وذلك لما فيها من القدرة على الرد على الشاعر الخصم بقصيدة من نفس الوزن والقافية ونقض ما فيها من معان، وقلب المديح إلى ذم، والفخر إلى هجاء، بحيث يظهر كل شاعر منهم مثالب الآخر وعيوب قومه وينسب الشاعر القائل الفخر والمديح إلى نفسه أو إلى قومه.

وقد شاعت النقائض في هذا العصر نتيجة للصراع الحزبي والقبلي أو العداة الشخصي بين الشعراء أنفسهم حتى أصبحت فنا جديدا من فنون الشعر العربي، له شعراؤه وفرسانه الذين برعوا فيه، الأمر الذي دفع بي إلى اتخاذها موضوعا للدراسة والبحث، وذلك لما فيها من مواضيع خصبة وخصائص قيّمة ولغة راقية، وعلى هذا الأساس جاء موضوع بحثنا موسوما بـ " الخصائص الفنية للنقائض في العصر الأموي - نونية جرير والفرزدق والأخطل أنموذجا- .

فجاءت إشكالية بحثنا كالآتي:

وقد دار في خلدي مجموعة من التساؤلات؛ كانت مثارا لبحثي هذا، ولعل أبرزها:

ما هي الأسس التي بنيت عليها وما مميّزاتها؟ ما هي أهم الموضوعات التي أحاط بها شعراؤها؟ وما هي أبرز خصائصها اللغوية والفنية؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة اقتضت طبيعة بحثنا أن تنتهج المنهج الوصفي التحليلي وفق خطة بحث قد قسمت إلى مدخل وفصلين بعد مقدمة، لتختم بأهم النتائج التي توصلنا إليها في هذه الدراسة، فكان التقسيم كالتالي:

#### مقدمة

\* مدخل بعنوان: الإرهاصات الأولى لفن النقائض.

\* الفصل الأول بعنوان: موضوعات النقائض وخصائصه الفنية، عالجتنا فيه مجموعة من المباحث:

المبحث الأول: فن النقائض تعريفه ولغته وأسبابه.

المبحث الثاني: موضوعات فن النقائض.

المبحث الثالث: خصائص فن النقائض.

\* الفصل الثاني بعنوان: الدراسة الفنية، وقد تناول هو الآخر مجموعة من المباحث:

المبحث الأول: نبذة عن حياة جرير والفرزدق والأخطل.

المبحث الثاني: نماذج شعرية.

المبحث الثالث: دراسة فنية تحليلية للقصائد.

وقد اعتمدت في بحثي هذا على مجموعة من المصادر والمراجع التي ارتأينا أنّها ذات صلة قريبة من إشكالية موضوع بحثنا تتمثل في " التطور والتجديد في العصر الأموي " لشوقي ضيف، و" آفاق الأدب في العصر الأموي " لابن هشام مرهون الصفار، " الشعر في العصر الأموي " لغازي ظليمات و عرفان الأشقر، " في الشعر الإسلامي والأموي " لعبد القادر القط و" نصوص من الأدب الأموي " لحسين عطوان، " في شعر صدر الإسلام والعصر الأموي " لفوزي محمد أمين.

وكأي بحث علمي واجهتنا مجموعة من الصعوبات أبرزها:

- صعوبة اختيار النماذج الشعرية وذلك لكثرتها، وتعدد الموضوعات فيها أو خلو بعضها منها.

- طول القصائد وصعوبة ألفاظها مما يستوجب الرجوع إلى الدواوين والمعاجم.

- إضافة إلى مشكلة ضيق الوقت حيث بذلت جهدا مضنيا في الانتقال بين المكتبات بحثا عن المادة العلمية، إلا أنني جرّاء هذا الجهد استفدت الشيء بحيث تعرّفت أكثر على هذا الفنّ الشعري، وأبرز ما خلصنا إليه أنّ كلّ تلك الخصومات التي كانت بين جرير والفرزدق والأخطل لا تتعدى كونها مناظرات للتسلية والترويح عن النفس وإضحاك الناس وإسعادهم.

وفي الأخير وبكلّ صدق أتقدّم بالشكر إلى أستاذي المؤطر " بن ادريس عمر " الذي رافقني طيلة هذه الرحلة العلمية؛ ولم يبخل عليّ بمساعداته الماديّة والمعنويّة من نصائح وإرشادات ورفع للمعنويّات، فجزاه الله خيرا وأدام عليه الصحة والعافية.

مدخل:

الإرهاصات الأولى لفن النقائض

## الإرهاصات الأولى لفن النقائض:

عندما تذكر "النقائض" يتبادر إلى الذهن نقائض العصر الأموي التي بلغت شهرتها الأفاق، ونالت قصب السبق من الدرس والتحليل، وكان "هذا الفن الشعري حديث النشأة لم يعرفه الشعر العربي إلا في منتصف القرن الأول الهجري، وكان فضل اختراعه راجع إلى هذه المدرسة الأموية ورجالها المشهورين والمغمورين"<sup>(1)</sup>، ومن ثم نظر إلى النقائض الأموية على أنها الصورة الأولى لهذا الفن.

وقد أشار شوقي ضيف إلى وجود بذور قديمة للنقائض سبقت العصر الأموي، ويرى النقائض تطويراً لفن الهجاء الذي عرفه العرب في الجاهلية لكنه يؤكد في الوقت نفسه على عدم وجود علاقة بين الهجاء الجاهلي وفن النقائض في العصر الأموي الذي أصبح شيئاً يراد به اللهو لا الجد كما كان الشأن قديماً ويضيف شوقي ضيف أن الشاعر الجاهلي لم يكن يهجو ليضحك جمهوراً- وليقطع له أوقات فراغه، ولم يكن يهجو أمام خصومه مباشرة، ولم يكن يحترف الهجاء على هذا النحو الذي نجده في عصر بني أمية، كما أن صور الهجاء التي سبقت العصر الأموي كانت في أكثرها صوراً بسيطة، فالشعراء لا يتقيدون دائماً بأن يردوا على خصومهم بقصائد من نفس الوزن والقافية أو بعبارة أخرى من نفس الألحان والنغمات التي صاغ فيها الخصوم شعرهم وهجاءهم.<sup>(2)</sup>

ويؤكد صلاح الدين الهادي على أن النقائض كانت فناً شعرياً معروفاً -إلى حد ما- في العصر الجاهلي، لكنها في أول أمرها لم تأخذ صورة النقائض بكل أصولها وعناصرها وشرائطها الفنية وكانت تأخذ صورة الرد الذي لا يتقيد بأصول المناقضة، ثم أخذت تتطور

1- أحمد الشايب: تاريخ النقائض، مكتبة النهضة المصرية، ط3، 1954م، ص 01.

2- شوقي ضيف: التطور والتجديد في الشعر الأموي، ط8، دار المعارف، 1954م، ص 163-164.

شيئاً فشيئاً حتى وصلت إلى صورتها الكاملة واستوفت كل القواعد والأصول الفنية اللازمة لفن المناقضة في نهاية العصر الجاهلي.<sup>(1)</sup>

أما أحمد الشايب فهو -فيما أعلم- أول من قطع بوجود فن النقااض في الشعر الجاهلي، وأكد على أنه فن قديم نشأ مع النهضة الشعرية طفلاً ساذجاً ناقص الأركان ثم أخذ يستكمل، على الأيام، أركانه، وعناصره معتمداً أكثر ما اعتمد على فني الفخر والهجاء حتى تمت أوضاعه وشرائطه. ويبرر الشايب رأيه السابق بأنه ليس من طبيعة الأشياء أن تطلع علينا النقااض أول ما تطلع، كاملة الصورة تامة التقاليد والعناصر، متوافرة الشرائط والطرائق كما رأيناها عند جرير وصاحبيه، فلا بد أن تدرج طفلة ثم تيفع وتشب إلى أن تستوي ناضجة متجاوبة الموسيقى متقابلة المعاني.<sup>(2)</sup>

ولعل الرأيين الأخيرين هما الأقرب للصواب -من وجهة نظرنا- إذ أقرأ بوجود النقااض في الشعر الجاهلي وضرب أمثلة لذلك كل حسب اجتهاده، ولكننا لا نتفق معهما في بعض ما ذهب إليه، لأن النقااض الجاهلية لم تكن وفقاً على فني الهجاء والفخر، كما أنها لم تكن ساذجة ناقصة الأركان، وهذا يعود إلى نشأتها مع الشعر الجاهلي، ونحن لم نعثر على شعر جاهلي في مرحلة الطفولة إذ وصل إلينا شاباً يافعا وكذلك النقااض، وإن كانت طبيعة الأشياء تحتم مرورها بمرحلة الطفولة، فهذه المرحلة لم تصل إلينا شأنها في ذلك شأن الشعر الجاهلي.<sup>(3)</sup>

1- ينظر: أحمد الشايب: تاريخ النقااض، ص 44.

2- صلاح الدين الهادي: اتجاهات الشعر في العصر الأموي، ط3، دار الثقافة العربية، (د ت)، ص-ص 273 – 275.

3- أحمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربي، دار النهضة مصر للطبع والنشر، ط25، (د ت)، ص 124-125.

## 1- النقائص قبل حرب البسوس:

لم تكن الحرب ميدانا للقتال فحسب، بل كانت سببا مباشرا لظهور فن النقائص الذي نما وترعرع في أجواء المعارك، فقبل كل حرب أو بعدها تكون المناقضة تهديدا ووعيدا أو فخرا.

ويعد أول ظهور لفن النقائص في الشعر الجاهلي الذي بين أيدينا ما واكب الحروب التي اندلعت بين اليمنيين من جهة وبكر وتغلب من جهة أخرى؛ لأن هذه الحروب كانت قبل حرب البسوس التي اندلعت في نهاية القرن الخامس ميلادي.

ويوم "أراط" هو أول هذه الأيام، وقد استمرت فيه الحرب سبعة أيام تباعا حتى كثر القتل بين الفريقين ولما كان اليوم السابع انهزم اليمنيون أمام بكر وتغلب، وولوا الأدبار، وعندما بلغت أخبار الهزيمة التبع اليمني قال مهددا:

يَاذَا الْكَلَامِ كَأَنِّي مَوْرُودٌ	مِنْ دَارِ حَمِيرٍ فَالْفُؤَادُ عَمِيدٌ
نَادَى مَعَاهِدَ مَنْ أَبَتْ قُعودٌ	أَقْدَاءَ عَيْنَيْكَ عَادَهَا أُمُّ عُودٌ
مَنَعَ الرُّقَادُ هَمًّا أَغْمَضَ سَاعَةً	تَبَطُّ بِبَيْتِ رَبِّ آمِنِينَ قُعودٌ
نَبَطُ أَسَارَى مَا يَنَامُ سَمِيرُهُمْ	لَا بُدَّ أَنْ يُسَلِّيَهُمْ مَوْرُودٌ
لَا تَسْقِنِي بِبَيْدِكَ إِنْ لَمْ تَلْقَهَا	صَرَرًا كَأَنَّ أَسَافَهَا مَجْرُودٌ
بِسُيُوفِ حَمِيرٍ وَالْمَقَاوِلِ وَسَطَهَا	وَالْخَيْلِ تَبْدُو سَامَةً وَتَعُودُ
فَلَا خَضِبْتَ سِبَالَهُمْ بِدِمَاهِهِمْ	وَلْتَعْفِرَنَّ مَعَاطِسُ وَحُدُودُ
وَلَقَدْ نَزَلْتُ عَلَى هَوَانِ حِفْبَةٍ	أَسْرَى أَقَاتِلُ سَاعَةً وَأَدُودُ
وَلَقَدْ شَدَدْتُ عَلَى يَمَامَةٍ شَدَّةً	ذَلْتُ وَهَدْتُ حَصْنَهَا الْمَشْدُودُ

وَأَقْدَ حَطَمْتُ حُصُونَ بَيْتِ بَعْسَكِرٍ      وَعَلَى حُصُونِهِمْ قَنْ وَبُنُودُ (1)

ولعلنا نلاحظ هنا أن التبع قد فخر بقومه "حمير" وبقوتهم وبأسهم في القتال ثم هدد بهلاك بكر وتغلب.

ويأتي رد كليب مستخدما البداية التي استخدمها التبع إذا الكلام، وإذا كان التبع قد فخر بقومه حمير فإن كليب هو الآخر يضع حدوده من بكر وتغلب في المقابل؛ ويرد على فخره بالقوة بفخر مماثل، ويرد على تهديده بتهديد مماثل أيضا، فهو سينازل التبع وقومه برجال أشداء من بكر وتغلب ومن ثم تكون النقيضة هنا قد استوفت شروطها، يقول كليب في رده:

يَا ذَا الْكَلَامِ نَسَيْتَ عَقْدَ جَدْوِي	فَلِمَ أَنْفَتَ وَأَنْتَ غَيْرُ حَمِيدٍ
لَمْ أَسْرَ بِالْعَمَرَاتِ إِنْ لَمْ أَلْقُكُمْ	شَهَبَاءَ مِثْلَ صَرَائِمِ الْأَخْدُودِ
مَتَى أَنْزَلْتُ تَبَعًا بِكَتَيْبَةٍ	شَهَبَاءَ لَيْسَ وُرُودُهَا كُورُودِي
فَرِجَالُ تَغْلَبَ وَالْأَرَاقِمُ وَسَطَهَا	وَالْحَيْلُ بَيْنَ مُجَنَّبٍ وَمُقَوِّدِ
وَرِجَالُ بَكْرِ مُلْجَمُونَ خِيُولَهُمْ	مَا بَيْنَ قَرْمٍ سَيِّدٍ وَمُسَوِّدِ

فلما بلغ هذا الشعر التبع أمر بتجهيز الجيوش لتأديب كليب وقومه، والتقى الجمعان في ثنية الجبلين. وانتصر كليب وقومه على اليمنيين، وأسر النمر بن عثمان سيد اليمن مع نسوة له، أسره كليب بن ربيعة؛ وعندما علم التبع بأخبار الهزيمة قال:

إِنْ يَبْنِي الذِّي بَنَى إِلَى قَحْطَانَ	طَوِيلُ الْعِمَادِ وَصَعْبُ الْمَرَاقِي
هُوَ سَهْلٌ عَلَيَّ حُزْنُ لِعَيْرِي	مُسْتَنْظَلٌ مُنْطَقُ بِنِطَاقِ

لَيْسَ شَيْءٌ بِرُومِهِ وَلَهُ بَا  
بُ مِنَ الْعِزِّ مُرْصَدٌ بِالْوِثَاقِ

كُلُّ مَنْ رَامَ فَتَحَهُ أَوْ رَاهُ  
فُرِجَتْ نَفْسُهُ مِنَ الْإِشْفَاقِ (1)

ونلاحظ هنا أن التبع يفخر بقحطان جد اليمانيين، ولما له من العز والكرم. ثم نجده يقول: (2)

وَدُونَهُ عَسْكَرٌ تَضِيقُ بِهِ الْأَرْضُ  
عَظِيمٌ مَرُوقٌ بِرِوَاقِ

ذَاكَ بَيْتِي وَأَيُّ بَيْتٍ كَبَيْتِي  
أَوْ مَذَاقٍ فِي الطَّعْمِ مِثْلَ مَذَاقِ

سَارَ شَمْرٌ إِلَى الْأَقَاصِرِ مِنَ الْأَرْضِ  
بِخَيْلٍ تَقَادُهُ فِي الْأَفَاقِ

ففي هذه الأبيات نجده يفخر بقوته العظيمة الكبيرة التي تتصدى إلى اعتداء وتنصر عليهم بشراسة، إلى أن نجده يقول في أسر النمر بن عثمان: (3)

إِنَّمَا النَّمْرُ حَيْرُنَا وَهُوَ مِنَّا  
إِنْ فَقَدَ الْكِرَامَ فِي الْقَلْبِ بَاقِ

سَرَفُوهُ مِنَّا وَأَبَاؤُهُ الشَّمْمُ  
فَعِنْدِي عُقُوبَةُ السَّرَاقِي

سَوْفَ أَرْمِيهِمْ بِشَعَثٍ وَمُرُهُ  
فَوْقَ جَرْدٍ مُسَوَّمَاتٍ عِنَاقِ

بحيث اعتبر من أسروه سرقة، وأنه كونه ملك سوف يعاقب اللصوص أشد عقاب، وأنه نتيجة لذلك سيد همهم في عقر دارهم سواد العراق بفرسانه الأبطال، وذلك في قوله: (4)

1- عبد الرحمن محمد الوصيفي: النقااض في الشعر الجاهلي، مكتبة الأداب، القاهرة، ط1، 1423هـ / 2003م، ص 16.

2- لويس شيخو: شعراء النصرانية، ص 17.

3- المرجع نفسه: ص 17.

4- المرجع نفسه: ص 18.

فَإِذَا مَا الْحُرُوبُ شَابَتْ فَكَانَتْ  
مَهَجَاتُ النَّفُوسِ عِنْدَ التَّلَاقِ  
وَاسْتَدَارَتْ وَأَظْلَمَتْ وَتَظَلَّتْ  
لِمَتَّاحٍ وَقَلَّصَتْ عَن سَاقِي  
أَلْجَفُوا نَارَهَا وَشَبُّوا لِظَاهَا  
بِرِمَاحٍ مَسْنُونَةٍ الْأُورَاقِي

أما رد كليب فكان عملاً وقولاً، فإذا كان أسر النمر بن عاسط قد أغضب التبع واعتبر من أسروه لصوصاً فقد قتله كليب على الفور واشتمل رد كليب نقض المعاني التي عددها التبع. فإذا كان التبع يعتبر أسر النمر عملية سرقة فهذا جهل منه لأن الأمر لم يقف عند الأسر؛ بل تعداه إلى القتل، أما ملكه وقوته فهم يملكون قوة أخرى منه وقادرون على سلب الملك منه، أما التهديد بغزوه سواد العراق فهذا أمر لا قبل له به، يقول كليب:

غَضَبَ التَّبَعِ الْيَمَانِيُّ جَهْلًا  
إِذْ تَوَى النَّمِرُ عِنْدَنَا فِي الْوَتَاقِ  
بُرْهَةً ثُمَّ صَارَ بَعْدُ قَتِيلاً  
لَيْسَ حَيٌّ عَلَى الْمُئُونِ بِبَاقِ  
وَضَرَبْنَا مَفَارِقَ الرَّأْسِ مِنْهُ  
بِحُسَامٍ يَهْوِي إِلَى الْأَعْنَاقِ  
أَيُّهَا الْمَوْعِدُ الَّذِي لَيْسَ يَخْشَى  
قَدْ نَهَيْتَاكَ عَن سَوَادِ الْعِرَاقِ  
أَبْلَغَ التَّبَعِ الْيَمَانِيِّ أَنَّا  
فَوْقَ جَرْدِ مُسَوِّمَاتِ عِنَاقِ

وقد ادى ذلك إلى اشتعال الموقف بين القائدين (التبع وكليب) والتقى الجمعان في معركة طاحنة فاصلة في خزازي<sup>(1)</sup>، انتصرت فيها قبائل نزار على اليمانيين، إذ كثر فيهم القتلى والهلاك وأسّر كليب سبعة من أقبالها.

1- خزاز، يفتح أوله، وبزاي أخرى بعد الالف على وزن فعال، وهو جبل أحمر وله هضبات حمر، وفي أصل خزاز ماء لقي في ناحية منعج.

## 2- النقااض قبيل مقتل كليب:

ونقصد بها النقااض التي قبلت قبل مقتل كليب، وكلها كانت بين كليب بن ربيعة وجساس بن مرة عدا واحدة كانت بين المهلهل بن ربيعة وأخيه كليب.

وتبدأ النقااض مع بروز الفتنة بين بكر وتغلب وإن شئت بين كليب بن ربيعة الملك وصهره جساس بن مرة بسبب ناقة البسوس بنت منقذ التميمية؛ حالة جساس، إذ نزلت ضيفة عليه وفي جواره ومعها ناقتها سراب التي أطلقها للرعي مع إبل جساس، وكانت إبل جساس مختلطة إبل زوج أخته الجلييلة بنت مرة، كليب بن ربيعة، وخرج كليب ومعه جساس يوما يتفقدان الإبل؛ فرأى كليب ناقة البسوس فأنكرها وقال: جساس؛ لا تعد هذه الناقة إلى هذا الحمى، فقال جساس: لا ترعى إبلي مرعى إلا وهذه معها، فقال كليب: لئن عادت لأرضعن سهمي في ضرعها، فقال جساس: لئن وضعت سهمك في ضرعها لأضعن سنان رمحي في صلبك ثم تفرقا. (1)

وقد أثرنا ذكر هذه المقدمة النثرية لأنها – وإن جاز لنا التعبير- نقيضة نثرية دارت بين كليب وجساس قبل النقااض الشعرية بينهما، فكليب يأمر بأن الناقة لا تعود إلى الحمى ثانية؛ وجساس يرد قوله بتصميمه على عودتها فيصعد كليب من الموقف ويعلن أنه سيضع سهمه في ضرع الناقة حال عودتها إلى الحمى، فيقابل جساس هذا التصعيد بتصعيد أشد؛ بأن الناقة في هذه الحالة تصبح معادلة لكليب نفسه، فإن أصابها كليب بسهم فسوف يدق جساس صلبه بالرمح، وهنا يُنتَعَلُ كليب بالتهديد بالشعر في أربع مقطعات كلها من بحر الرجز، وجساس يرد عليه في أربع مقطعات كاملة من بحر الرجز أيضا، وكلما استخدم كليب قافية بعينها رد عليه جساس بالقافية نفسها، وأولى هذه المقطعات هي قول كليب:

وَالْحَجْرُ الْأَسْوَدُ ذِي السُّتُورِ

إِنِّي وَرَبُّ الْقَمَرِ الْمُنِيرِ

1- لويس شيخو: شعراء النصرانية، مكتبة الأداب، القاهرة، (د ط)، (د ت)، ص 270.

لَيْنَ رَعَتْ فِي الْبَلَدِ الْمَجْجُورِ      وَأَفْزَعَتْ جَارَهَا مِنَ الطُّيُورِ  
 نَائِبَةٌ فِي وَكْرَهَا الْمَخْدُورِ      لِأَهْتَكَنَّ الضَّرْعَ بِالْمَطْرُورِ  
 وَهنا يرد عليه جساس بقوله:  
 إِيَّيَّ وَرَبُّ الشَّاعِرِ الْعَرُورِ      وَبَاعَتْ الْمَوْتَى مِنَ الْقُبُورِ  
 وَعَالِمِ الْمَكْنُونِ فِي الضَّمِيرِ      إِنْ رَمَتْ مِنْهَا مَعْقَرَ الْجَزُورِ  
 لِأَنْبَنَ وَتُبَّةَ الْمُغِيرِ      الذَّيْبُ أَوْذَى اللَّبْدَةِ الْهَاصُورِ (1)

### 3- النقائض في مقتل كليب وحرب البسوس:

منذ اليوم الأول لمقتل كليب، نلمح النقائض في شعر الفريقين المتقابلين بكر وتغلب، أو بين شاعرين من هذا الفريق أو ذاك؛ إذ تحولت النقائض بعد مقتل كليب إلى سجال متبادل بين قاتله جساس بن مرة وأخي كليب المهلهل الذي يطلب بثأره، وتبدأ النقائض عندما وقف المهلهل يرثي كليب بعد دفنه مباشرة في قصيدة طويلة، يبدي فيها حزنه متوعدا قبيلة بكر بالانتقام، يقول:

أَهَاجَ قَدَاءَ عَيْنِي الْإِذْكَارُ      هُدُوءًا فَالْدُمُوعُ لَهَا إِنْجِدَارُ  
 وَصَارَ اللَّيْلُ مُشْتَمِلًا عَلَيْنَا      كَأَنَّ اللَّيْلَ لَيْسَ لَهُ نَهَارُ  
 دَعَوْتُكَ يَا كَلَيْبُ فَلَمْ تُجِبْنِي      وَكَيْفَ يُجِيبُنِي الْبَدُّ الْقِفَارُ  
 أَجِبْنِي يَا كَلَيْبُ خَلَكَ دَمُّ      لَقَدْ فُجِجَتْ بِفَارِسِهَا نِزَارُ  
 سَقَاكَ الْغَيْثُ إِنَّكَ كُنْتَ غَيْثًا      وَيَسْرًا حِينَ يُلْتَمَسُ الْيَسَارُ

1- لويس شيخو: شعراء النصرانية، ص 31-32.

أَبْتِ عَيْنَايَ بَعْدَكَ أَنْ تَكْفَأَ      كَأَنَّ غَضَا الْقَتَادِ لَهَا شِفَارُ  
 أَتَّغِدُوا يَا كَلَيْبُ مَعِيَ إِذَا مَا      جَبَانُ الْقَوْمِ أَنْجَاهُ الْفِرَارُ  
 أَتَّغِدُوا يَا كَلَيْبُ مَعِيَ إِذَا مَا      خُلُوقُ الْقَوْمِ يَشْحَذُهَا الشِّفَارُ  
 خُذِ الْعَهْدَ الْأَكِيدَ عَلَيَّ عُمْرِي      بِنَّرَكِي كُلِّ مَا حَوَتِ الدِّيَارُ (1)

ويرد عليه جساس محاولا نقض المعاني التي اشتملت عليها أبياته، فأما عن بكاء المهلهل على أخيه وحزنه عليه فإن جساس هو الآخر يعترف بالخسارة الفادحة لمقتل كليب ويبيكي عليه هو وقومه مثل بكاء المهلهل، ولكنه بغى عليهم ولا بد أن تدور على الباكي الدوائر وقتله كان جزاء تطاوله على أبناء عمومته بني بكر، أما عن تهديد المهلهل فهم مستعدون له:

أَلَا أَبْلَغُ مُهْلَهْلَ مَا لَدَيْنَا      فَأَدْمَعْنَا كَأَدْمَعِهِ غِرَارُ  
 بَكَيْنَا وَإِنَّ الْبَاغِي عَلَيْنَا      وَشَرُّ الْعَيْشِ مَا فِيهِ غِيَارُ  
 وَنَحْنُ مَعَ الْمَنَايَا كُلِّ يَوْمٍ      وَلَا يُنْجِي مِنَ الْمَوْتِ الْفِرَارُ  
 وَكُلُّ قَدِّ لَقِي مَا قَدِّ لَقِينَا      وَكُلُّ لَيْسَ مِنْهُ لَهُ إِصْطِبَارُ  
 فَأَقْسَمَ إِنْ بَقِيَتْ لَتَكْرَهُنِي      إِذْ طَارَتْ عَنِ الْعُنْسِ الشِّفَارُ

ويظل المهلهل يرثي أخاه، فالديار بعد رحيل كليب أصبحت قفرا وأنه لم يعد يستطيع تحمل هذه المصيبة، فلا خير في الدنيا بعد رحيل كليب، فهو العز والكرم والحلم والجود، فليت السماء على من تحتها وقعت، أو جالت الأرض بمن عليها من الناس، فحياة كليب – من وجهة نظر المهلهل – تساوي حياة من على الأرض جميعا ومن ثم فإنه يستعد للحرب

1- لويس شيخو: شعراء النصرانية، ص 163.

استعداد الفارس المقاتل من تهيئة للخيول والرماح التي سوف تغوص في دماء بني بكر، وأن الحرب مستمرة والصلح محال.<sup>(1)</sup>

#### 4- النقائض في مقتل خالد جعفر:

يعد خالد بن جعفر بن كلاب بطلا من أبطال العرب، بعد قتله لزهير من جذيمة العبسي سيد غطفان، ولم يكن مقتل زهير حدثا عاديا في صحراء نجد، وقد قتل على يد الحرث بن ظالم المري، وعندما يرثيه عبد الله بن جعدة يؤكد على جبن قاتله، لأنه قتله وهو نائم غدرا، فلم ينازله فارس لفارس ولو فعل لكان النصر حليف القتل، لأنه بطل يحسن الطعن وتسديد الضربات للخصم، ولا ينسى الشاعر تهديد القاتل وقبيلته:

شُقْتُ عَلَيْكَ الْعَامِرِيَّةُ جَبِيهَا	أَسَفًا وَمَا تَبْكِي عَلَيْكَ ضَلَالًا
يَا حَارَ لَوْ نَبَّهْتُهُ لَوَجَدْتُهُ	لَا طَائِشًا رَعِشًا وَلَا مِعْزَالًا
وَاعْرَوْرَقْتَ عَيْنَايَ لَمَّا أَخْبَرْتِ	بِالْجَعْفَرِيِّ وَأَسْبَلْتِ إِسْبَالَ
فَلَنَقْتُلَنَّ بِخَالِدٍ سُرُورَاتِكُمْ	وَلَنَجْعَلَنَّ لِلظَّالِمِينَ نَكَالًا

ويرد عليه الحارث بن ظالم مؤكدا بطولته وفتكه بعدوه قائلا:

بِاللَّهِ قَدْ نَبَّهْتُهُ فَوَجَدْتُهُ	رَحْوُ الْيَدَيْنِ مُوَ اكِلًا عِسْقَالًا
فَعَلَوْتُهُ بِالسَّيْفِ أَضْرِبُ رَأْسَهُ	حَتَّى أَضِلُّ بِسَلْخِهِ السِّرْبَالَ <sup>(2)</sup>

1- عبد الرحمن محمد الوصيفي: النقائض في الشعر الجاهلي، ص 31.

2- أبو عبيد بن المثني: الشعر والرد عليه في أيام العرب قبل الإسلام، تج عادل جاسم البياتي، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط1، 1407 هـ / 1987م، ص 125.

## 5- نقائض داحس والغبراء:

يؤكد الرواة على أن حرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان قد استمرت أربعين عاماً، وداحس هو فرس قيس بن زهير بن جذيمة العبسي، والغبراء فرس حذيفة بن بدر الديباني وقد تراهن قيس وحذيفة على سباق بين فرسيهما؛ وخدع حذيفة قيساً إذ أمر بكمين الثنية ليقفوا داحساً حتى يسبق الغبراء، وكشف قيس الخدعة، وبسبب ذلك كانت الحرب الطويلة بين الحيين. (1)

وقد بدأها قيس بن زهير بغاراته على بني بدر وقتل عوف بن بدر أخا حذيفة وأخذ إبله، وكان أخوه مالك بن زهير مقيماً في بني بدر لأنه كان متزوجاً منهم، فأرسل إليه قيس يخبره بما صنع ويأمره بالرحيل عن بني بدر قبل أن يقتلوه، وأنه لا ينبغي له أن يأمنهم وإن فعل فإنه هالك لا محالة: (2)

أَمَّا لِكُ لَا تَأْمَنُ غَزَارَةً وَآخَشَهَا      فَأِنَّكَ إِنْ تَأْمَنُ غَزَارَةً هَالِكُ  
أَمَّا لِكُ إِنْ تَحْسِبُ مَكَانَكَ فِيهِمْ      صَوَابًا فَقَدْ أَخْطَأْتَ فِي الرَّأْيِ مَالِكُ

فيرفض مالك النصيحة، ويرد عليه قوله:

يَا قَيْسُ حَسْبُكَ مَا أَتَيْتَ فَخَلْنِي      وَبَنِي غَزَارَةً إِنِّي مُتَمَاسِكُ  
أَتَرَى حُدَيْفَةَ أَخِذِي بِجَرِيرَةٍ      لَمْ تَجْنِهَا كَفَى وَأَنْتَ الْفَاتِكُ

ويدفع مالك بن زهير حياته عندما أعرض عن نصيحة أخيه إذ يقتله حمل بن بدر ويأخذ منه سيفه (ذو النون)، ثم يقتل الحارث بن زهير حمل بن بدر أخيه يوم الهبأة،

1- ينظر - أبو فرج الأصفهاني: الأغاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د ت)، ط3، ص 17.

2- أبو عبيدة بن المثنى: أيام العرب قبل الإسلام، ص 194.

ويأخذ منه سيف أخيه القتيل، ويفخر الحارث بذلك لأنه أخذ سيف أخيه عنوة ولم يأخذه بالحيلة أو المودة:

تَرَكْتُ عَلَى الْهَبَاءِ غَيْرَ فَخْرٍ      حُدَيْفَةَ حَوْلَهُ قَصَدَ الْعَوَالِي

سَيُخْبِرُ قَوْمَهُ حَنْشُ بَنُو عَمْرِ      إِذَا لَأَقَاهُمْ وَابْنَا بِلَالِ

وَيُخْبِرُهُمْ مَكَانَ الْوَنِّ مَنَى      وَمَا أَعْطَيْتُهُ غُرْفَ الْخِلَالِ (1)

فيرد حنش بن عمرو وأخو بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان عليه فخره لأنه كان جباناً في المعركة، ولم يحرك ساكناً فلا مجال لفخره على بني ذبيان:

سَيُخْبِرُكَ الْحَدِيثُ بِكُمْ خَبِيرٍ      يُجَاهِدُكَ الْعَدَاوَةَ غَيْرَ آلِ

بَدَاءُ نَهَا لِقِرْوَأَشٍ وَعُمَرَ      وَأَنْتَ تَجُولُ، جَوْبَكَ فِي الشِّمَالِ (2)

وكان الربيع بن زياد العبسي مقيماً في بني بدر، وأراد قيس بن زهير أن يتقوى به، ولا ينبغي للربيع أن يخذل قومه عند المعز، وعليه أن يحذو حذو أبيه في الشجاعة وحسن الخلق وحماية القبيلة وأنه إن لم يفعل فهذا هو البلاء الذي سيعم جميع بني عبس:

أَبْنُجُو بَنُو بَدْرِ بِمَقْتَلِ مَالِكِ      وَيَخْدُلُنَا فِي النَّائِبَاتِ رَبِيعُ

وَكَانَ زِيَادُ قَبْلَهُ يُنْفَى بِهِ      مِنَ الدَّهْرِ إِنْ يَوْمَ أَلَمِ فَضِيعُ

فَقُلْ لِرَبِيعٍ يَحْتَنِي فِعْلَ شَيْخِهِ      وَمَا النَّاسُ إِلَّا حَافِظُ وَمُضِيعُ

وَإِلَّا فَمَا لِي فِي الْبِلَادِ إِقَامَةٌ      وَأَمْرُ بَنِي بَدْرِ عَلَى جَمِيعِ

1- العرق: المكافأة، والخلال جمع خلة وهي المودة.

2- القراوش: هو قراوش بن عوف بن عاصم بن عبيد، وهو صاحب جلوى أم داحس.

ولكن الربيع يرد على قيس قوله، فالحرب إذا كانت قادمة لا محالة فإنه لا يستطيع أن يخذل قومه:

فَإِنْ تَكُ حَرْبُكُمْ أَمَسَتْ عَوَانًا      فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ مِمَّنْ جَنَاهَا  
وَلَكِنْ وَأَلْدُ سُورَةَ أَرْثُوهَا      وَحَشَوْنَا نَارَهَا لِمَنْ إصْطَلَاهَا  
فَإِنِّي غَيْرُ خَادِلِكُمْ وَلَكِنْ      سَأَسْعَى الْآنَ إِذْ بَلَغَتْ مَدَاهَا<sup>(1)</sup>

وما يمكن الإشارة إليه أيضا أن النقائض الجاهلية لم تقتصر عند نقائض داحس والغبراء، إنما استمرت مع التسلسل الزمني، ومع مستجدات العصر بحيث نجد أيضا نقائض يوم بزة؛ وهو يوم لبني كنانة وقتل فيه ذو التاج مالك بن خالد بن صخر بن الشريد وأخوه كرز، وكذلك نجد النقائض التي قيلت في يوم جدود، ونقائض يوم ذي نجب، ونقائض يوم أضاح، ونقائض يوم الجفار وذات الشقوق، ولا ننسى نقائض النابغة الذبياني مع كل من عامر بن طفيل وبدر بن حذار الفزاري، ويزيد بن عمرو الكلاني بالإضافة إلى نقائض الأوس والخزرج<sup>(2)</sup>، وهي قبيلة واحدة في الأصل، أخوان ابنا حارثة بن ثعلبة، ينتهي نسبهما إلى مازن بن الأزد، والتي افتترقتا فيما بعد واندلعت بينهما الحروب، وفي ظل هذه الحروب نشأت النقائض وكان يمثلها من جانب الخزرج ثلاثة شعراء هم: حسان بن ثابت، عبد الله بن رواحة وأنس بن العلاء، بينما كان في الجهة المقابلة – الأوس- شاعر واحد هو قيس بن الخطيم<sup>(3)</sup>، أما عن آخر هذه النقائض فكانت نقائض يوم الشبطين، وهو يوم لبكر بن وائل على تميم، وكان قد بعث النبي ﷺ ولم يسلم بعد على أهل نجد والعراق، وسارت بكر بن وائل نحو الشبطين للغارة على بن تميم، والتقوا تميما وقتلوهم قتلا ذريعا وأخذوا أموالهم، واستعر القتل في بني العنبر وبني ضبنة وبني يربوع، وفي ظل هذه

1- أبو عبيدة معمر بن المثنى: أيام العرب قبل الإسلام، ص 203.

2- ينظر، عبد الرحمن محمد الوصيفي: النقائض في الشعر الجاهلي، صص 71 – 97.

3- أبو عبيدة المثنى: أيام العرب قبل الإسلام، ص 313.

الحرب كان للنقائض الحظ الوافر بحيث انطلقت الألسنة لشعراء كل من القبيلتين المذكورتين سابقا.

وما يلاحظ من خلال ما عرضناه حول أهم النقائض التي قيلت في العصر الجاهلي أن نشأتها وبواكرها الأولى كانت مع ظهور ونشأة الشعر، وتطورت معه، وإن لم تسمى بهذا المصطلح؛ فقد كانت تسمى حيناً بالمنافرة وأخرى بالملاحاة وما إلى ذلك من أشكال النفار، وكانت في البداية لا تلتزم إلا بنقض المعنى والمقابلة فيه، ثم صارت تلتزم بعض الفنون العامة دون بعضها الآخر، مما جعلها لا تبلغ درجة النقيضة التامة، وإن لم تبعد عنها كثيرا، ولا سيما في جانب القافية، ولا شك أن النقائض نشأت مثل أي فن من الفنون، ضعيفة مختلطة، وبمرور الزمن والتراكم المعرفي والتتبع الموروث الشعري، تقدم الفن الجدلي وأخذ يستكمل صورته الأخيرة قبيل البعثة، حتى قوي واكتمل واتضحت أركانه وعناصره الفنية، فوصل على يد الفحول من شعراء بني أمية إلى فن مكتمل الملامح تام البناء الفني، اتخذ الصورة النهائية للنقائض ذات العناصر المحددة التي عرفناها بشكلها التام فيما عرف بنقائض فحول العصر الأموي وهم جرير والفرزدق والأخطل.

# الفصل الأول:

## موضوعات النقائض وخصائصه الفنية

المبحث الأول: فن النقائض تعريفه ولغته.

المبحث الثاني: موضوعات فن النقائض.

المبحث الثالث: خصائص فن النقائض.

**تمهيد:**

يعتبر فن النقائض من أهم الفنون الشعرية، فقد بدأت بواكره منذ العصر الجاهلي ليتبلور ويتطور ويصبح فناً أدبياً قائماً بذاته في العصر الأموي على أيدي ثلاثة فحول اشتهروا به، وهم: جرير والفرزدق والأخطل.

وإن الدارس لهذا الفن الشعري يجد بآء، له جوانب شتى أثرت في تطوره وتشكيل لغة خاصة تميز بها، وهذا ما جاء في فصلنا الأول، بحيث اشتمل على:

المبحث الأول: التعريف بفن النقائض، وأسباب نشأته.

وجاء في المبحث الثاني: لغة النقائض، وأهم موضوعاتها.

أمّا المبحث الثالث: خصائص النقائض.

المبحث الأول: فن النقائض تعريفه ولغته وأسبابه.

## 1) تعريف النقائض لغة واصطلاحاً:

(أ) لغة:

جاء في قاموس المحيط: «النقائض مأخوذة في الأصل من نقض البناء إذا هدمه والحبل إذا حله، وضده الإبرام يكون للبناء والحبل والعهد». (1)

أما في معجم لسان العرب: «فالنقض إفساد ما أبرمت من عقد أو بناء والنقض ضد الإبرام، والنقيضة في الشعر ما ينقض به، وكذلك المناقضة في الشعر بنقض الشاعر الآخر ما قاله الأول، والنقيضة الاسم ما يجمع على النقائض، وناقضه في الشيء مناقضة ونقاضا خالفه، والمناقضة في القول أن يتكلم بما يتناقض معناه، والمناقضة في الشعر أن ينقض الشاعر الآخر ما قاله الأول حتى يجيء بغير ما قال، والنقيضة الاسم يجمع على النقائض، ولذلك قالوا: نقائض جرير والفرزدق». (2)

(ب) اصطلاحاً: النقيضة قصيدة يرد بها الشاعر على قصيدة لخصم له فينقض معانيها عليه، بقلب فخر خصمه هجاء، وينسب الفخر الصحيح لنفسه هو، وتكون النقيضة عادة من بحر قصيدة الخصم وعلى رويها. (3)

والنقيضة في الأغلب تدور حول موضوعين أساسيين: الأول فخر وهجاء قبلي، والثاني فحش في القول يتناول أعراض الأمهات والزوجات والأخوات...، فيه قدر قليل من الطرافة والفكاهة والسخرية اللاذعة، والناظر في أمر هذه الصور الفاحشة يدرك أن

1- الفيروز أبادي مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، ج 5، مادة نقض دارنوبليس، لبنان، بيروت، ط1، 2006م، ص 455.

2- ابن منظور: لسان العرب، مج 14، مادة نقض، دار بيروت، ط1، (د ت) ص 262-263.

3- عمير فرّوخ: تاريخ الأدب العربي "الأدب القديم من مطلع الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية"، ج 1، دار العلم للملايين، بيروت، ط 4، 1981، ص 361

المتناقضين ومن يتلقون شعرهم لم يكونوا يأخذون الأمر مأخذ الجد، وإلا لكان أقل قليلة كافيا لإراقة الدماء. (1)

ولا بد من وحدة الموضوع في النقائض فخرا أو هجاء أو سياسة أو رثاء أو نسيب، أو جملة من الفنون المعروفة إذا كان الموضوع هو مجال المناقشة ومادة النقائض، أما المعاني فالأصل العام فيها المقابلة والاختلاف، لأن الشاعر الثاني همه أن يفسد على الأول معانيه فيردها إن كانت هجاء، ويزيد عليها مما يعرفه أو يخترعه، وإن كان فخرا أو وضع إزاءها مفاخر لنفسه وقومه. (2)

وقد سلك شعراء النقائض في نقض المعاني طرقا شتى ترجع إلى أصل عام واحد هو أن يعي الشاعر الثاني بإفساد ما يقرره الأول، فيكذب ما يدعي أو يضع إزاءه ما يقابله، أو يفسره لصالحه ويقلل أهميته.

وأهم الطرق التي اعتمدها المتناقضون في هذه الملاحم الشعرية هي:

- 1- **القلب:** يقول الشاعر الأول هاجيا فيرد عليه الثاني قالبا عليه معانيه ذاتها مدعيا أنها من صفات الأول أو رهطه.
- 2- **المقابلة أو الموازنة:** وهي أن يضع الثاني من المفاخر أو المثالب ضروبا تقابل ما وضع الأول وتكون مناظرة لها.
- 3- **التوجيه:** وذلك أن تحدث الحادثة ويتناولها الشاعران وكل يفسرها تفسيرا يؤيد موقفه في الفخر أو الهجاء.
- 4- **التكذيب أو تنازع المآثر:** وذلك أن كل شاعر يدعي لنفسه أو لقومه مآثره بعينها ويدفع عنها وميله.

1- عبد القادر القط: في الشعر الإسلامي والأموي، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د ط)، 1407هـ/1987م، ص 352.

2- أحمد الشايب: تاريخ النقائض، ص 3-4.

5- وقد يسلم الشاعر للآخر معنى فيصرف عنه دون نقض طائعا أو مكرها إذ لا يستطيع الخوض فيه لداع عصبي أو سياسي، أو ديني أو نحوهما. (1)

### عوامل نشأة النقائض:

إذا كان بدء قيام النقائض هو نزاع قبلي على ماء بين حيين من أحياء العرب فإن تطورها واستمرارها أذكته عوامل أخرى يمكن أن نجملها فيما يلي:

#### أ- عوامل سياسية وقبلية:

ظهرت هذه العوامل بشكل جلي في تشجيع بني أمية للصراع القبلي وسيلة لتثبيت حكمهم واستمراريته، وإشغال القبائل العربية بما يفت عضدهم، ويحل قوتهم، وقد ذكر أن والي العراق بشر بن مروان كان يغري بين الشعراء، ويدفعهم إلى التهاجي. (2)

وقد ذكر أنه سأل الأخطل بحضور جرير والفرزدق، ليقول أيهما أشعر، وأن الأخطل تردد في إصدار حكمه أو إبداء رأيه، معلنا أن ما سيقوله شؤم عليه، ولما ألح عليه قال: جرير يغرف من بحر، والفرزدق ينحت من صخر، ولم يرض جرير هذا الحكم، وقيل أن الأخطل بعث ابنه ليسمع خبر نقائض الشعارين ويبيد رأبه فيهما، وإن ابنه هو صاحب هذا الرأي إلا أن الأخطل علّق عليه بأن أشعرهما الذي يغرف من بحر، يعني جريرا وأنه قال:

إِنِّي قَضَيْتُ قَضَاءً غَيْرَ ذِي جَنَفٍ      لِمَا سَمِعْتُ وَلِمَا حَاقَنِي الْخَبْرُ  
 إِنَّ الْفَرَزْدَقَ قَدْ سَأَلْتُ نَعَامَتَهُ      وَعَضَّهُ حَيَّةٌ مِنْ فَوْقِهِ ذَكَرُ

1- المرجع السابق، ص 27.

2- إحسان النص: العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي، دار الفكر، ط 2، 1973م، ص 257.

وتحباك نهاية هذه الرواية بأن الأخطل قدم الكوفة على بشر بن مروان، فبعث إليه محمد بن عمير بن عطار بن حاجب بن زرارة بدرهم وحملان وكسوة وخمر، وقيل إن الذي بعث بها رجل من مجاشع اسمه شبه بن عقال المجاشعي<sup>(1)</sup> (ابن عم الفرزدق) وقال للأخطل: فضل شاعرنا عليه وسبهن فقال الأخطل:

أَخْطَأَ كُتَيْبُ إِلَيْكَ: إِنَّ مُجَاشِعًا      وَأَبَا الْفَوَارِيهِ نَهْشَلُ أَخْوَانَ

فَقَوْمٌ إِذَا خَطَرَتْ إِلَيْكَ فُرُومُهُمْ      جَعَلُوكَ بَيْنَ كُلِّ كَلٍّ وَجْرَانَ

وَإِذَا وَضَعْتَ أَبُوكَ فِي مِيزَانِهِمْ      رَجَحُوا وَشَالَ أَبُوكَ فِي الْمِيزَانَ

فقال جرير:

يَا دَا الْعِبَاءَةَ إِنَّ بَشْرًا قَدْ قَضَى      أَنْ لَا تَجُوزَ حُكُومَةُ النَّشْوَانَ

وبشر بن مروان نفسه دفع سارقة البارقي ليهجو جريرا وبدا خاطبه جرير بيته المشهور:

قَدْ كَانَ حَقُّكَ أَنْ تَقُولَ لِبَارِقٍ      يَا آلَ بَارِقٍ فِيمَ سَبُّ جَرِيرِ

ويؤكد زراقت دور أولي السلطان بتأجيج نار النقائص والمهاجاة من خلال عرضه لأخبار سكوت الحجاج عنها. وأكثر من هذا أنه طلب منهما أن يأتيا إليه بلباسه الجاهلية، وهو بهذا يشجع الردة إلى الجاهلية سلوكا وشعرا.<sup>(2)</sup>

تقول الرواية أن الحجاج قال لجرير والفرزدق وهو في قصره في البصرة: ائتينا في لباس أبائكما في الجاهلية، فجاء الفرزدق، وقد لبس الديباج والخز، وقعد في قبة، وشاور

1- المرجع نفسه، ص 189.

2- ابتسام مرهون الصفار، آفاق الأدب في العصر الأموي، ص 189.

جرير دهاة قومه، بني يربوع فقالوا: ما لباس آبائنا إلا الحديد، فلبس جرير درعا وتقلد سيفاً، وأخذ رمحا، وركب فرسا لعباد بن الحصين، يقال له المنحاز، وأقبل في أربعين فارساً من بني يربوع.<sup>(1)</sup>

هذه الهيئة التي بدا فيها الشاعران تظهرهما وكأنهما مستعدان حقا لحرب حامية... وكل منهما محاط برجال قومه يعضدونه ويظهرون قوتهم، ويبدو دور التعصب القبلي في تشجيع شعراء النقائض فيما ذكر أن جريرا و الفرزدق شوهدا في مسجد دمشق، والفرزدق في عصابة من الخندق، والناس حول جرير (قيس وموالي بني أمية)، لأن جريرا مدح القيسية.<sup>(2)</sup>

وقف قوم جرير مع القيسية إلى جانب عبد الله بن الزبير، وحاربوا الأمويين في معركة مرج راهط، والأخطل يفتخر بقبيلته تغلب لنصرها الذي حققته على قيس عبلان يوم الحشاك، وقتلها فارس من فرسان قيس، وهو عمير بن الحباب يقول:

أَمَسْتُ عَلَى جَانِبِ الْحِشَّاكِ جِيفَتُهُ	وَرَأْسُهُ دُونَ الْيَحْمُومِ وَالصُّوْرِ
إِنِّي رَأَيْتُكُمْ وَالْحَقُّ مَعْضَبَةٌ	تُخْفُونَ أَنْ يَذُكَّرَ الْجَحَافُ أَوْ زُفَرٍ
فَمَا مَنَحْتُمْ عُدَاةَ الْبَشَرِ نِسْوَتَكُمْ	وَلَا صَبَرْتُمْ لِقَيْسٍ مِثْلَ مَا صَبَرُوا

ويكون رد جرير على هذا الفخر القبلي بان يذكر يوما انتصر فيه القيسيون على تغلب.<sup>(3)</sup>

1- المرجع نفسه، ص 189.

2- ابتسام مرهون، آفاق الأدب في العصر الأموي، ص 190.

3- المرجع السابق، الصفحة نفسها

إن العامل السياسي هو السبب وراء اشتداد المنافسة بين الأخطل وجريير، ووقوف الأخطل مع بني أمية وازدياد الصلة بينهما ضد القيسيين.

### ب- العوامل العقلية:

بين شوقي ضيف أن العوامل العقلية كان لها دور كبير هي الأخرى، وذلك لنضوج العقل العربي، ونمو قدراته على الحوار والجمل والمناظرة السياسية والمذهبية<sup>(1)</sup>، والعقيدة في اللغة والتشريع. وكانت المحاورات والمناقشات تدور في كل مكان في مدينة البصرة في المساجد وفي المجالس بل وفي الطرقات والأسواق وعلى ضوء من ذلك كله أخذ شعراء النقائض يتناظرون في حقائق القبائل ومفاخرها ومثالبها وكل منهم يدرس موضوعه دراسة دقيقة ويبحث في أدلته ليوثقها، وفي أدلة خصمه لينقضها دليلاً<sup>(2)</sup>، أي أن تلك المناظرات والمحاورات كانت بمثابة البواكر الأولى للنشوء مناظرات شعرية، والتي كان مقرها كل من المربرد (البصرة)، وكنانة (الكوفة).

### ج- العوامل الاقتصادية:

لقد جذبت مراكز الثراء، ومراكز الدولة من ولاية، وأصحاب خراج، وقادة جيوش الفتح، وأصحاب القضاء، ومراكز العطاء الشعراء ورغبتهم فيما عندهم من أموال فاتحه الشعراء إليهم<sup>(3)</sup>. بالإضافة إلى ما كان بين قيس وتغلب من عداوة بسبب رغبة كل منهما في السيطرة على أكبر مساحة من الجزيرة العربية، والذي كان السبب في دخول الأخطل مناقضا لجريير، كما تذكر الرواية بأن أول سبب لدخول جريير في مناقضات مع الشاعر غسان السليطي هو سبب نزاع كل على ماء بين الحيين.

1- انظر: شوقي ضيف، التطور والتجديد في العصر الأموي، العصر الإسلامي، ص 242.

2- محمد مصطفى أبو شوارب، أدب العصر الأموي (دراسات ونصوص)، دار الوفاء، الإسكندرية، ط1، 2002م، ص 119.

3- ينظر: أنعام موسى إبراهيم راوقة، الحياة الاقتصادية وأثرها في الشعر الأموي، مؤسسة الوراق، عمان، الأردن، ط1، 2002م، ص 193.

د- العوامل الفنية:

أول ما يدرج ضمن العوامل الفنية في إثارة النقائض ما ذكر من أن الأخطل بعث ابنه مالكا إلى العراق ليأتيه بخبر جرير والفرزدق، فقال له ابنه بعد عودته: وجدت جريرا يغرف من بحر ووجدت الفرزدق ينحت من صخر، فقال الأخطل: الذي يغرف من بحر أشعرهما، وهذا يعني أن الأخطل فضل أولا جريرا بمقياس غني للشاعرية، ولكن هم يقولون أنه غير رأيه هذا بعد أن قدم الكوفة وكان عليها بشر بن مروان، فبعث إليه عمير بن عطارد بألف درهم وكسوة وبغلة وخمر على أن يغير حكمه، ويقضي للفرزدق، ففضل الأخطل الفرزدق فعلا بقوله:

أَجْرِيرُ إِنَّكَ وَالَّذِي تَسْمُو لَهُ      كَأَسِيفَةٍ فَخَرَّتْ بِحَدَجِ حِصَانِ

فرد عليه جرير:

لِمَنِ الدِّيارُ بِرُقَّةِ الرّوحانِ      إذ لا نبيعُ زَمَاننا بِزَمَانِ (1)

وهنا يتداخل العامل الفني مع العامل الاقتصادي أو المادي فيفضل الأخطل الفرزدق بعد أن غير رأيه بسبب ما أرسل إليه من هدايا، وتبدأ مناقضات الأخطل مع جرير، أي أن مسار المناقضات قد تغير هو الآخر، فبعد ما كانت فقط بين الفرزدق وجرير، دخل الأخطل هو الآخر فيها.

1- أبو عبيدة المتنى البصري التميمي، ديوان النقائض، ج2، ص 05.

لقد شغلت النقائض وأخبار شعرائها الناس في حينها، إذ كانوا يلتفون حول الشعراء والشاعرين خاصة، ليسمعا تناشدهما الأشعار بما يدفع الشعراء حتما إلى الإجابة في القول، والتفتن في المعاني، بالصور الجديدة المبتكرة في الهجاء سخرية أو إيلاما، لقد وصف أحد شيوخ البصرة المدينة ومساجدها بقوله: "ما كنت أريد أن أجلس إلى قوم إلا وفيهم من يحدث عن الحسن"، أي الحسن البصري و"ينشد للفرزدق".<sup>(1)</sup>

وان دل هذا القول على شيء فإنما يدل على أن الشعر قد أصبح هاجس الناس في العصر الأموي، بحيث أصبح الناس يقبلون على حفظ القصائد، ويتابعون نقائضها.

إن لطول المدة التي تهاجا فيها الشاعران أثرا كبيرا في تحويلها إلى متعة فنية، وشغل فكري، فما كان الشاعران يتبادلانه من أهاج لم يثر عداوة وبغضاء بينهما؛ بل صارت أقرب ما تكون إلى المنافسة الأدبية، فقد كان يجتمعان معا في مجالس الأمراء والخلفاء حتى كأن ألفة وصدافة كانت بينهما، ولعل الخبر الطريف الذي ذكره ابن سلام يوضح هذه الحال التي آلت إليها علاقة شاعري النقائض. حين بدأت المهاجة بين جرير وعمر بن لجأ. لقي الفرزدق وعمر بن عطية أبا جرير، فقال له: ويلك، قل لأخيك ثكلتك أمك، أيت التيمي من عل، كما أصنع لك. وكان الفرزدق قد حمى وأنفى لجرير أن يتعلق به التيمي أن يهجو ابن لجأ جريرا ولو كانت مهاجة عداوة لفرح الفرزدق بدخول ابن لجأ ضد جرير. وأطرف من هذا أن نقرأ هجاء للفرزدق يهجو به عمر بن لجأ الذي هجا جريرا، ينكر عليه دخوله المهاجة بينه وبين جرير، فهما فقط سيدان من تميم وما دخل ابن لجأ فيهما، بقول الفرزدق:<sup>(2)</sup>

مَا أَنْتَ إِِنْ فَرَعًا تَمِيمٌ تَسَامِيًّا      أَحَا التَّيْمِ إِلَّا كَالْوَشِيظَةِ فِي الْعَطْمِ

فَلَوْ كُنْتَ مَوْلَى الظُّمِّ أَوْ فِي ظِلَالَةٍ      ظَلَمْتُ، وَلَكِنْ لَا يَدَا لَكَ بِالظُّمِّ

1- ابتسام مرهون الصفار، آفاق في العصر الأموي، ص 191.

2- ابتسام مرهون صفار، آفاق الأدب في العصر الأموي، ص 192-193.

فهو يقصد بهذين البيتين أن قومه أذلاء، ولا يقدرّون على ظلم سواهم.

إن العوامل الفنية في شحذ قريحة شعراء النقائض بدت أكثر وضوحاً حين فدت النقائض ظاهرة معروفة وشائعة، وازدادت بمرور السنين والأعوام لتطغى على العوامل الأخرى، حتى نكاد نحس بروح صداقة ربطت بين جرير والفرزدق، وصارت الصور الفاحشة مثيرة للسخرية والضحك لا تثير في نفس الشاعر منهم ضغينة أو حقداً على صاحبه. (1)

فالناظر إلى هذه الصور يدرك أن المتناقضين ومن يتلقون شعرهم لم يكونوا يأخذون الأمر مأخذ الجد، وإلا لكان أقل قليلاً كافياً لإراقة الدماء.

### لغة النقائض:

إن المتمعن والمتوغل في لغة النقائض يلمس نوعاً من التشابه والتقاطع مع القصيدة العربية القديمة، وخاصة عندما يتحدث الشاعر عن يوم من أيام القبيلة، أو عندما يصف لنا رحلة في الصحراء. أما سوى ذلك من المعاني فإن شاعر النقائض مفتخراً أو هاجياً يعود إلى لغة عصره، وما شاع فيها من مفردات ومعان.

فإذا كان سلب صفات المهجو من ركائز شعر الهجاء، فقد عمد شعراء النقائض إلى سلب المهجويهم من إطار المجتمع الإسلامي مستفيدين في ذلك من التشبيهات والأخيلة القرآنية، ومن قصص الأنبياء الواردة في القرآن الكريم، استمدوا في كل هذا مادة أدخلوها في نقائضهم بغض النظر عن كون أهاجيهم خارجة من النطاق السياسي أو النزاع المذهبي أو الديني، فالفرزدق يهجو جريراً لأنه هجا بني نمير، ويهدده بعذاب كنفار جهنم، فما سيلقاه

1- المرجع نفسه، ص 194.

من هجائه مقابل هجاء بني نمير في الهجاء كعذاب أهل النار، إذا اشتد عليهم وأرادوا أن يخففوا لظى النار عمدوا إلى شراب يزيد عذابهم، إنه الصديد يقول: (1)

فَأَنَّكَ فِي هِجَاءِ بَنِي نُمَيْرٍ      كَأَهْلِ النَّارِ إِذَا وَجِدُوا الْعَذَابَ

رَجَوْا مِنْ حَرِّهَا أَنْ يَسْتَرْيَحُوا      وَقَدْ كَانَ الصَّدِيدُ لَهُمْ شَرَابًا

وكذلك نجده يشبه شؤم جرير على قومه وكثرة الهاجين له ولقومه بشؤم ناقة ثمود التي ورد ذكرها في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ

وَقَالُوا يَصْلِحُ أُمَّتَنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ

فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴿٧٨﴾ (سورة الأعراف: الآية 77- 78)

يقول الفرزدق: (2)

وَكَانَ جَرِيرٌ عَلَى قَوْمِهِ      كَبُكْرٍ تُمُودٍ لَهَا الْأَنْكِدِ

رَعَا رَعْوَةً بِمَنَائِيَاهُمْ      فَصَارُوا رَمَادًا مَعَ الزُّمُرِ

1- الفرزدق، ديوان الفرزدق، ص 297.

2- الفرزدق، الديوان، شرح علي مهدي زيتون، ص 298.

واستفاد الأخطل هو الآخر من هذه السورة القرآنية في هجائه جريرا، يقول:

وَلَمَّا رَأَى الرَّحْمَنَ أَنْ لَيْسَ فِيهِمْ رَشِيدٌ وَلَا نَاهٍ أَخَاهُ عَنِ الْغَدْرِ

أَمَالَ عَلَيْهِمْ تَغْلَبَ ابْنَهُ وَائِلٍ فَكَانُوا عَلَيْهِمْ مِثْلَ رَاغِيَةِ الْبَكْرِ

ويتخذ شعراء النقائض من قصة موسى، وفرعون مادة لهجاتهم فالسامري الذي أضل قومه يوظف قصة كل من جرير والفرزدق في هجائهما، فالفرزدق يهجو جريرا بأنه أفضل قومه كما أضل السامري قومه، فيقول: (1)

وَلَقَدْ ضَلَلْتُ أَبَاكَ تَطْلُبُ دَرَامًا كَضَلَالٍ مُلْتَمِسِ طَرِيقَ وَبَارٍ

كَالسَّامِرِيِّ يَقُولُ إِنَّ حَرَكَتَهُ دَعْنِي فَلَيْسَ عَلَيَّ غَيْرَ إِزَارِي

ويقول جرير ذاكرا الصورة نفسها: (2)

وَلَمَّا دَعَوْتُ الْعَامِرِيَّ بِبَلْدَةٍ إِلَى غَيْرِ مَاءٍ لَأَقْرِبَ وَلَا أَهْلٍ

ضَلَلْتُ ضَلَالَ السَّامِرِيِّ وَقَوْمِهِ دَعَاهُمْ فَظَلُّوا عَاكِفِينَ فِي عَجَلٍ

ويعتمد الفرزدق في إحدى أهاجيه على صورة جديدة من الصور الواردة في القصص القرآنية، حين يشبه مهجوه بابن نوح الذي كفر وتجبر على أبيه، وأخذه الغرور، وظن أن الجبل يعصمه من الغرق، أو أن نهايته ستكون مثلا نهاية أهل الفيل حين رماهم الله بحجارة من سجيل، يقول: (3)

1- أنطون صلحاني، شعر الأخطل، دار الكتب العلمية، بيروت، (د ط)، 1981، ص 221.

2- أبو عبيدة المثني البصيري، ديوان النقائض، ص 22.

3- الصدر نفسه، ص 347-348.

فَلَمَّا طَغَى الْحَجَّاجُ حِينَ طَغَى بِهِ      غَنَّى، قَالَ: إِنِّي مُرْتَقٍ فِي السَّلَالِمِ  
 فَكَانَ كَمَا قَالَ ابْنُ نُوحٍ سَارَتْ قِي      إِلَى جَبَلٍ مِنْ خَشْيَةِ الْمَاءِ عَاصِمِ  
 رَمَى اللَّهُ فِي جُثْمَانِهِ مِثْلَ مَا رَمَى      عَنِ الْقَبْلَةِ الْبَيْضَاءِ ذَاتِ الْمَحَارِمِ  
 جُنُودًا تَسُوقُ الْفَيْلَ حَتَّى أَعَادَهُمْ      هَبَاءً وَكَانُوا مُطْرَخِمِي الطَّرَاخِمِ  
 نَصَرْتُ كَنْصِرِ الْبَيْتِ إِذْ سَاقَ فِيْلُهُ      إِلَيْهِ عَظِيمُ الْمُشْرِكِينَ الْأَعَاجِمِ

ومن هنا يتبين لنا بأن شعراء النقائض قد اتخذوا من القصص التي وردت في القرآن الكريم مادة للغتهم، وأسقطوها على خصومهم شعرا.

المبحث الثاني: موضوعات فن النقائض

موضوعات شعر النقائض:

تشبه قصيدة نقائض القصيدة العربية في كونها تشتمل على عدة موضوعات فتبدأ ببيكاء الأطلال ثم وصف الرحلة في الصحراء، ثم الفخر والهجاء، وتتصل الحماسة بالفخر والهجاء؛ لما تشتمل على المدح، الوصف، والثناء.

1. الفخر:

يعد الفخر من الفنون القديمة، فلا تكاد تخلو نقيضة من النقائض من هذا الموضوع، وشعراء النقائض يفخرون بالخصال القديمة التي كان يفتخر بها الشعراء الجاهليون مثل الكرم، والشجاعة والمروءة والوفاء، وحماية الجار، ونجده المستغيث، ويقفون كثيرا عند فخرهم بأبائهم وأجدادهم وقومهم، وتضل العصبية سافرة بوجهها القبيح من هذا الفكر الذي حذر منه الإسلام في عصر النبوة والخلفاء الراشدين.<sup>(1)</sup>

ففي نقيضة جرير التي مطلعها:

أَلَا حَيَّ الدِّيَارِ يَسْعَدَ أُنِّي      أُحِبُّ لِحُبِّ فَاطِمَةَ الدِّيَارِ

وقوله: (2)

وَأَحْمَدُ فِي الْقُرَى وَأَعَزُّ نَصْرًا      وَأَمْنَعُ حَامِيًا وَأَعَزُّ جَارًا

أي أنه يفتخر بمناقبه ومناقب قومه، وعلى رأسها القرى، ونلاحظ في البيت الثاني أنه استعمل اسم التفضيل أحمد، بمعنى أنهم أكرم من غيرهم في إكرام ضيوفهم.

1- محمد مصطفى أبو شوارب، أدب العصر الأموي (دراسات ونصوص)، دار الوفاء، الإسكندرية، ط 1 2007م، ص 119.

2- جرير، ديوان جرير، تج: نعمان محمد أمين طه، ج 3، دار المعارف، القاهرة، ط 3، (د ت)، ص 314.

وفي نفس الصدد نجد الفرزدق يفتخر بوراثته المكارم، إذ يقول:

وَإِنَّ مُجَاشِعًا قَدْ حَمَلْتَنِي  
أُمُورًا لَنْ أُضَيِّعَهَا كِبَارًا

قِرَى الْأَضْيَافِ، لَيْلَةَ كُلِّ رِيحٍ  
وَقَدَمًا كُنْتُ لِلْأَضْيَافِ جَارًا (1)

والمقصود من هذين البيتين أن الشاعر يفتخر بمكارمهم في إكرام الضيف وخاصة عندما تنقطع به السبل ولا يجد من يستضيفه في ليالي الشتاء الباردة الممطرة، حيث الرياح الشديدة.

وفي نفس السياق مفتخرا بكرم أجداده وكثرة عطاياهم، يقول: (2)

لَا قَوْمَ أَكْرَمَ مِنْ تَمِيمٍ إِذْ غَدَتِ  
عَوْدُ النِّسَاءِ يُسَقِّنَ كَالْأَجَالِ

الضَارِبُونَ إِذَا الْكَتِيبَةُ أَحْجَمَتْ  
وَالنَّازِلُونَ غَدَاةَ كُلِّ نِزَالِ

وَالضَامِنُونَ عَلَى الْمَنِيَّةِ جَارَهُمْ  
وَالْمُطْعِمُونَ غَدَاةَ كُلِّ شَمَالِ

وقوله أيضا:

تَعَالَوْا فَعَدُوَّ يَعْلَمُ النَّاسُ أَيْنَا  
لِصَاحِبِهِ فِي أَوَّلِ الدَّهْرِ تَابِعُ

وَأَيُّ الْقِبْلَتَيْنِ الَّذِي فِي بُيُوتِهِمْ  
عِظَامُ الْمَسَاعِي وَاللَّهْيُ الدَّسَائِعُ

وكذلك افتخاره بكرم جدّه صعصعة في إطلاق الأسرى وكرم زرارة بن عدس في قوله:

وَصَعَصَعَةُ الْمُجِيرِ عَلَى الْمَنَايَا  
بِذِمَّتِهِ وَفَكَأَكُ الْعَنَاتِ

1- الفرزدق، ديوان الفرزدق، شرح علي مهدي زيتون، دار صادر، بيروت، (د ط)، 1385هـ/ 1966م، ص 307.

2- المرجع السابق، ص 308

وقوله في فخره بإطلاق الأسرى:

كَمْ كَانَ مِنْ مَلِكٍ وَطِئَنَ وَسُوقَةٍ      أَطْلَقْنَهُ وَبِسَاعِدَيْهِ إِسَارُ  
كَانَ الْفِدَاءُ لَهُ صُدُورَ رِمَاحِنَا،      وَالْخَيْلَ إِذْ رَهَجَ الْغُبَارِ مُثَارُ

وهنا نجد جريرا كذلك يفتخر بكرمه وإعطاء الهبات النفيسة، قوله:

وَأَحْمَدُ حِينَ يَحْمَدُ بِالْمَقَارِي      وَحَالُ الْمُرَبَّعَاتِ مِنَ السَّحَابِ  
وَأَوْفَى لِلْمَجَاوِرِ إِنْ أَجْرْنَا      وَأَعْطَى لِلنَّفِيسَاتِ الرَّغَابِ

## 2. الهجاء:

أما الهجاء فلا تخلو نقيضة من النقائض إلا واشتملت عليه، لأنه الركيزة الأساسية، ودعامة مهمة في قصائدهم، وهو يقوم على أمور ثلاثة: (1)

**الأول:** تجريد المهجو وقبيلته من جميع المكارم والفضائل وإضافتها إلى نفسه وقبيلته، وفي أثناء ذلك يذكر معايب خصمه ومثالب قبيلته وهو امتداد للهجاء المعروف في الجاهلية.

**والثاني:** قذف المهجو بالشتائم والسباب البذيئ الفاحش وتناول الأعراض والتعرض لنسائه بالفحش والخنا مما تاباه أذواقنا اليوم، وتمحه نفوسنا لما فيه من الواقعية السافرة والهجاء المكشوف الشنيع.

**الثالث:** تصوير المهجو بصور ساخرة تحمل على الضحك، وهذا الضرب من الهجاء ازدهر بصورة خاصة في العصر العباسي، على أيدي الشعراء الساخرين ولاسيما ابن الرومي. (2)

1- أبو عبيدة المثني، ديوان النقائض، ص 254-255.

2- أبو عبيدة المثني، ديوان النقائض، ص 254-255.

فهذه الضروب الثلاثة نجدها مجتمعة في نقائض جرير والفرزدق والأخطل، وهذا ما نلمسه في أبيات الفرزدق متحدثا عن مكارم ومثالب قومه ونافيا إياها عن خدمه، يقول:

مَنْ مِثْلُ فَارِسِ ذِي الْخِمَارِ وَقَعْنَبِ  
والحنتقين لليلةِ البلبالِ  
والردفِ إذْ ملكَ الملوكَ ومنْ له  
عِظْمُ الدَّسَائِعِ كُلِّ يَوْمٍ فَضَالِ

وقد جاءت هذه المكارم في سياق هجائه للفرزدق، وقوله إذ يقول:

هذا تقدمنا وزجرى مالكا  
لا يردينك حين قينك مال  
لما رأوا جمَّ العذابِ يُصِيبُهُمْ  
صارَ القيونُ كساقَةِ الأفيالِ  
يا قُرْطُ! إِنَّكُمْ قَرِينَةُ خَزِيَّةٍ،  
واللؤمُ مَعْتَقِلُ قُيُونِ عِقَالِ  
أمسى الفَرَزْدَقُ لِلْبَعِيثِ جَنِيبةً  
كابن اللبونِ قرينةَ المشتالِ  
أرداكَ حينك يا فَرَزْدَقُ مُحَلِياً  
ما زادَ قَوْمَكَ ذاكَ غَيْرَ خَبَالِ  
و لقدُ وسمتُ مجاشعاً بأنوفها  
ولقدُ كَفَيْتُكَ مِدْحَةَ ابنِ جِعَالِ  
فانفخ بكيرك يا فرزدقُ إنني  
في بَاذِخٍ لِمَحَلِّ بَيْتِكَ عَالِي  
لما وَايَتِ لِنُغْرٍ قَوْمِي مَشْهَداً  
أثرتُ ذاكَ على بني ومالي  
إني نددتُ فوارسي و فعالهم  
نحنُ الولايةُ لكلِّ حربٍ تتقي  
وندبتُ شرَّ فوارسٍ وفعالِ  
إذْ أنتَ محتضراً لكيرك صالي  
مَنْ مِثْلُ فَارِسِ ذِي الْخِمَارِ وَقَعْنَبِ  
والحنتقين لليلةِ البلبالِ(1)

1- الفرزدق، ديوان الفرزدق، شرح علي مهدي زيتون، ص 383.

### 3. الوصف:

بعد التطرق لموضوعي الفخر والهجاء، نجد أن هناك موضوعاً آخر تطرق إليه شعراء النقائض ألا وهو الوصف، الذي هو تصوير خواص الأشياء الحسية والمعنوية، أو هو ذكر الشيء بما فيه من الأحوال والهيئات، وأحسن الوصف ما نعت به الشيء حتى يكاد يمثله عياناً، وما استوعب أكثر معاني الموصوف حتى كأنه يصوره لك<sup>(1)</sup>.

والوصف أكثر أبواب الشعر العربي، وكثير من قال من النقاد يرى أن الشعر إلا أقله راجع إلى باب الوصف، وقد وصف شعراء الجاهلية كل ما وقعت عليه أعينهم من شتى ألوان بيئتهم التي عاشوا فيها ومظاهر الحياة التي ألفوها في هذه البيئة، واستمر الأمر كذلك في العصر الأموي، وعلى رأسهم الشعراء النقائض الرثاء<sup>(2)</sup>.

### 4. الرثاء:

يعتبر هو الآخر من الفنون القديمة التي عرفت منذ العصر الجاهلي وبرزت كذلك في شعر النقائض.

فهذا الفرزدق نجده يقول في رثاء ابنه سواده<sup>(3)</sup>:

قالوا: نَصِيْبَكَ من أَجْرٍ، فَقُلْتُ لَهُم:	مَنْ لِلْعَرِيْنِ إِذَا فَارَقْتُ أَشْبَالِي
لَكُنْ سَوَادَةٌ يَجْلُو مَقْلَتِي لَحْمٍ	بَازٍ يَصْرَصُرُ فَوْقَ الْمَرْقَبِ الْعَالِي
قَدْ كُنْتُ أَعْرِفُهُ مَنِيَّ إِذَا غَلَقْتُ	رُهْنُ الْجِيَادِ وَمَدَّ الْغَايَةِ الْعَالِي

1- ينظر: محمد عبد المنعم خفاجي، الآداب العربية، دار الجيل، بيروت، ط 1، 1412هـ/1992م، ص 172.

2- ينظر: المرجع السابق، ص 173.

3- الفرزدق، ديوان الفرزدق، شرح علي مهدي زيتون، دار الجيل، بيروت، ط 1، 1417هـ/1997م، ص 142.

وكذلك نجد رثاءه لأبيه غالب، يقول: (1)

إني ضمننت لمن أتاني ما جنى      وأبي فكان وكنت غير غدور  
يرقي المنين رميم أعظم غالب      فيقِي بها ويفك كأسير

ففي هذين البيتين قد عدد الفرزدق مناقب أبيه، بما فيها من كرمه في فك الأسرى ومساعدة الآخرين، وحسن معاملتهم، وهو كابنه بالخصوص.

وبالمقابل نجد جرير يقول في رثاء زوجه خالدة بنت سعد بن أوس بن بني كليب، وهي أم ابنه خزرة، في قصيدة من النقائض: (2)

لولا الحياء لعادني إستعبار<sup>3</sup>      ولأزرت قبرك والحبيب يُزارُ  
ولقد نظرتُ وما تَمُنُّعُ نَظَرَةَ      في اللحدِ حيثُ تَمَكَّنَ المِحْفَارُ  
فَجَزَاكَ رَبُّكَ فِي عَشِيرِكَ<sup>4</sup> نَظَرَةَ      وَسَقَى صَدَاكَ<sup>5</sup> مُجَلِجِلُ مِدْرَارُ

وهنا يبدي الفرزدق موجة من الحزن والأسى لزوجته بعد موتها، بحيث صارت في اللحد العميق الذي لا يصل إليه أحد، وما تبقى منها سوى العظام والجثمان؛ بعدما كانت عشيرته وحبيبته التي تميزت بشدة الحياء والعفة والخشية من العيب.

1- أبو عبيدة المثنى التميمي البصري، ديوان النقائض، ج2، ص 375.

2- فوزي محمد أمين، في شعر صدر الإسلام والعصر الأموي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د ط)، (د ت)، ص 126.

3- الاستعبار: جريان الدمع والحزن، ويقال استعبر أي جرت عبرته وحزن.

4- العشير: الزوج، وعشير المرأة زوجها لأنه يعاشرها وتعاشره.

5- الصدق: ما بقي من الميت في قبره، وهو جثمانه وعظامه.

المبحث الثالث: أهم خصائص النقائص:

إن المدقق والمتمعن في هذا الفن الشعري -النقائص- يلمس جملة من الخصائص التي امتازت بها هذه القصائد في أرقى عصورها، ودرجة نضجها الفني في تاريخ الأدب العربي، وقد اشرنا فيما سبق أن جذور هذا الفن متجذرة منذ العصر الجاهلي ليتطور ويكتمل تدريجياً في العصر الإسلامي ليصبح قائماً بذاته في العصر الأموي، لما توافرت له من دوافع وأسباب قوية، أهلتها إلى مستوى ظهرت فيه هذه الخصائص الفنية، والتي كان على رأسها:

(1) **التأثر بالإسلام:** لقد اتخذ هؤلاء الفحول كتاب الله وسنة نبيه ﷺ مادة لشعرهم، ووسيلة لتثبيت كثير من معاني مقاصدهم، فأخذوا يقتبسون الآيات القرآنية اقتباساً مباشراً أو تضميناً لأحكام الإسلام، أو مسaire لروحه أو فخراً به، أو إنكار لما عاداه كالمسيحية وشعائرها، ودخلت هذه المعاني في صلب النقائص فخراً وهجاءً أو مما لابسهما من تسيب ورتاء. (1)

ومن هذا التأثر ما يبدو في نقيضة الفرزدق المسماة باسم الفيصل، يقول فيها: (2)

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَّا لَنَا      بَيْنًا دَعَائِمُهُ أَعَزَّ وَأَطْوَلُ

والمأخوذة من قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءِ<sup>ج</sup> بَنَّا<sup>ح</sup>﴾ رَفَعَ

سَمَكَهَا فَسَوَّيْنَاهَا ﴿٢٨﴾ (سورة النازعات: الآية 27-28).

1- ينظر: محمد مصطفى أبو شوارب، أدب العصر الأموي، دراسات ونصوص، ص 131.

2- الفرزدق، الديوان، شرح علي مهدي زيتون، ص 216.

كما نجد يقول في موضع آخر:

ضَرَبْتَ عَلَيْكَ الْعَنْكَبُوتَ بِنَسْجِهَا      وَقَضَىٰ عَلَيْكَ بِهِ الْكِتَابَ الْمُنَزَّلَ (1)

والمقتبس من قوله تعالى المقتبس من قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ

دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا <sup>ط</sup> وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ

الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ (سورة العنكبوت: الآية: 41)

فالقُرآن جعل المشركين الذين يتخذون من غير الله عز وجل إلها مثل تلك العنكب التي تأوي إلى مساكن من خيوط واهية لا تحميها، فأسقط الفرزدق ذلك على قوم جرير، فزعموا أنهم كانوا من أحقر الحشرات مسكنا، مما لا يخول لهم أن يجاروا قومه الأعزاء.

ويبدو التأثر بالإسلام في أبيات الفرزدق التي يتحدث فيها عن الحجاج وطغيانه فيضمنها قصة الفيل، وقصة ابن سيدنا نوح عليه السلام حين عصى أباه، وقال له: ﴿قَالَ

سَأْوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ

رَّحِمَ ۗ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٢﴾ (سورة هود: الآية:

.(43)

1- الفرزدق، الديوان، شرح علي مهدي زيتون، ص 262.

يقول الفرزدق: (1)

فَلَمَّا طَغَى الْحَجَّاجُ حِينَ طَغَى بِهِ      غَنَى، قَالَ: إِنِّي مُرْتَقٍ فِي السَّلَالِمِ  
فَكَانَ كَمَا قَالَ ابْنُ نُوحٍ سَأَرْتُقِي      إِلَى جَبَلٍ مِنْ خَشِيَةِ الْمَاءِ عَاصِمِ  
رَمَى اللَّهُ فِي جُتْمَانِهِ مِثْلَ مَا رَمَى      عَنِ الْقِبْلَةِ الْبَيْضَاءِ ذَاتِ الْمَحَارِمِ  
جُنُودًا تَسُوقُ الْفَيْلَ حَتَّى أَعَادَهُمْ      هَبَاءً وَكَانُوا مُطْرَخِمِي الطَّرَاخِمِ  
نَصَرْتُ كَنْصَرَ الْبَيْتِ إِذْ سَاقَ فَيْلُهُ      إِلَيْهِ عَظِيمُ الْمُشْرِكِينَ الْأَعَاخِمِ

**(2) طول النقيضة:** ومما يلتفت الانتباه إلى طول النقيضة فقد تتجاوز هذه الأخيرة أكثر من مائة بيت، فليست قصائد الهجاء مقطوعات كشعر الغزل، وليست قصائد قصيرة أكثر الأهاجي القديمة، وإنما هي قصائد طويلة بل كثيرا ما تسرق في الطول فلم تعد المسألة مسألة هجاء عاجل، بمعنى أن الهجاء فيها يكون بشكل معقد ومطول بعد عملية البحث والتنقيب في تاريخ القبائل وذلك لأن كل شاعر يحاول تشهير عيوب خصمه، وعيوب قبيلته بطبيعة الحال، فجيرير مثلا إذا أراد أن يهجو الأخطل يذهب ويبحث في دسائس تاريخ قبيلة تغلب، والأخطل بدوره يرد عليه بالمثل بعد ما يدرس تاريخ قبيلة خصمه، مستغلا أي نقص أو عيب فيها. (2)

**(3) الإفحاش في الهجاء والأقذاء فيه:** فقد هتك شعراء النقائض الأعراض، وأباحوا الحرمات، وصوّروا العورات، واختلقوا الشتائم (3) وهموا إلى وصف العورات وذكرها بألفاظها الحقيقية، دون حياء أو حشمة، وكانهم لم يتأدبوا بآداب الإسلام، ولم يتخلقوا بخلق النبوة بل كانوا يختارون أحقر الألفاظ وأفحشها وأقربها إلى الابتذال، وأفحشوا فحشا لم

1- المرجع السابق، ص 263.

2- ينظر: مصطفى أبو شوارب، أدب العصر الأموي، ص 139.

3- المرجع نفسه، ص 139.

يعرفه تاريخ الشعر العربي منذ الجاهلية حتى الآن، فصرحوا بألفاظ تستحي الأذواق السليمة؛ والألسنة العفيفة أن تنطق بها، ولا سيما في نقائض جرير والفرزدق. أما الأخطل فقد كان دون زميله في هذا النوع من السباب.

وأسوأ ما يسوؤك من أصحابها أن بعضهم كان يفضح بعضهم لا يراعون، ولا يزدجرون، ولا يربؤون بأعراضهم عن القذف ولا يصونون نساءهم من الانتهاك، فأم جرير بمضغ عرضها الفرزدق، وجعتن أخت الفرزدق يكشف عورتها جرير، والسوءات التي سترها آدم وحواء بورق الشجر كشفها شعراء الهجاء بألسنة البغاء، حتى افسدوا الأذواق إفسادا مخزيا لا يسبغه الخلق العربي بله الإسلام، وإن كانت الدراسة العلمية والتاريخية مضطرة لتناول كل شيء حتى لا يفوتها عنصر من مقومات هذا العصر الأدبية والاجتماعية.<sup>(1)</sup>

ما قاله الفرزدق في أم جرير حيث يقول:

أَزْرَى بِجَزْيِكَ أَنْ أُمَّكَ لَمْ تَكُنْ	إِلَّا اللَّئِيمَ مِنَ الْفُحُولَةِ تُفَحَلُ
قَبَحَ الْإِلَهَ مَقْرَةً فِي بَطْنِهَا	مِنْهَا حَرَجَتْ وَكُنْتَ فِيهَا تُحْمَلُ
تَشَقَّتْ بَنِي أَبِيكَ فَهِيَ حَبِيْبَةٌ	وَبِهَا فِي قَعْرِ الْمَقْرَةِ يَضْهَلُ
يَبْكِي عَلَى دَمَنِ الدِّيَارِ وَأُمُّهُ	تَعْلُو عَلَى كَمْرِ الْعَبِيدِ وَتَهْفَلُ

ولم يكن جرير دون صاحبه سفاهة بل كان أشد فحشا وأبلغ في الإقذاع، وربما نشأ ذلك عن تكالب الشعراء عليه، وهو أن حسبه وشدة انفعاله، حتى تولد في نفسه مركب النقص وصار لا يحتمل من أحد غمزا ولا مسبة، فإذا هاجمه شاعر وأعلن عليه شخص أو

1- ينظر: غزي ظليمات، عرفان الأشقر، الشعر في العصر الأموي، دار الفكر، دمشق، (د ط)، 2008م، ص 545-546.

نقده ناقد، أنشبه فيه جرير مخالبه ونهش عرضه ونشر مخازيه أو ابتدع له منها ما شاء خياله الخصب وتصويره العجيب.(1)

وهو في الأبيات التالية يهاجم الفرزدق من ناحية أخته جعتن:

وَأَفَاكَ عَدْرَكَ بِالزُّبَيْرِ عَلَى مَنَى      وَهَجْرُ جَعْتِنِكُمْ بِذَاتِ الْحَرَمِ  
بَاتَ الْفَرَزْدَقُ يَسْتَجِيرُ لِنَفْسِهِ      وَعِجَانُ جُعْتَنَ كَالطَّرِيقِ الْمُعْمَلِ  
أَسْلَمْتَ جَعْتَنَ إِذْ يَجْرُ بِرِجْلِهَا      وَالْمَنْقَرِي يَدُوسُهَا بِالْمَنْشَلِ

وكان الأخطل دون صاحبيه في هذا النوع من السباب، ولعل مرجع ذلك أن يهاجم نساء المسلمين في دولة إسلامية ترعاه، أو يخلط مدائحه في الخلفاء بهذا السباب، أو يتورط في شيء لا يلائم طبعه فقلت في شعره هذه الصور القبيحة على نحو قوله:(2)

مَا زَالَ فِينَا رَبَاطُ الْخَيْلِ مَعْلَمَةً      وَهَجْرُ كُنَيْبِ رَبَاطِ الذُّلِّ وَالْعَارِ  
قَوْمٌ إِذَا اسْتَنْبَحَ الْأَضْيَافُ كَلْبَهُمْ      قَالُوا لِأُمَّهُمْ بُولِي عَلَى النَّارِ

فالأخطل هجا قوم جرير من وجوه شتى، أحدها أن جعل أمهم خادمة، والثانية أمرها أن تطفئ النار من ضيف يتنور ها، والثالث بخل القرى.

**4) التصوير المثير:** هذه الواقعية وذلك الهجاء العاري المكشوف بدا في عدة مظاهر، في الألفاظ المفردة التي تدل على معانيها دلالة حقيقية سافرة لا رمز فيها ولا كناية، فقد أخذ هؤلاء الفحول يؤيدون العورات بألفاظها الحقيقية دون موارد بل يختارون من أسمائهم أدلها على الفحش وأقربها إلى الانتقال.

1- أحمد الشايب، تاريخ النقائض، ص 413.

2\_ أبو تمام، نقائض جرير والأخطل، ص 134، 135.

وفي هذه الصور تجد العربي والفسفور شنيعا قبيحا حسيا، كم وصف الأخطل نسوة كليب(1)، وكقول جرير: (2)

نَزَّتْ أُمُّ الْأَخْيَطَلِ وَهِيَ نَشْوَى      قَفَا الْخِنْزِيرُ تَحْسِبُهُ غَزَا  
تَظَلُّ الْحَمْرُ تَخْلُجُ أَخْدَعِيهَا      وَتَشْكُوا فِي قَوَارِمِهَا إِمْدَالَا  
مِنْ الْمُتَوَلِّجَاتِ عَلَى النَّشَاوَى      وَلَمْ تَلِجِ الْخُدُورَ وَلَا الْحَجَالَا

وكانت الواقعة تبدو أحيانا كثيرة في المعاني فهذا الفرزدق يلتجئ إلى عمرو بن لجا ليعرف منه مثالب بني كلاب وما يهجون به فلما أخذها عنه هجاهم بها(3)

**5) الخيال الخصب:** ومع هذه الوقائع كان هناك خيال خصب يبتكر الصور، ويبالغ في المعاني ويخترع الوقائع والأحداث، غير أنه بما يرتكب في سبيل ذلك من كذب وبهتان، فمع اعتراف جرير بصلاح "جعثن" وعفاخها نجد شع بها، وعرضها عرضا قبيحا، ونجد الفرزدق يخترع قصصا غرامية شتى، كالقصة التي وضعها على امرئ القيس (دائرة جلجل) وقصة زوجته حدراء بنت زيق بن بسطام ابن قيس الشيباني التي تزوجها على النوار وما انتهت به حياتها مما يشبه الدراما، وقد مضى معنا قصة جعثن وأنها حادث يسير لا خطأ فيه، ولكن امظر كيف صورها جرير وأطنب فيها وأكثر مناظرها وشنع بها.(4)

1- أحمد الشايب، تاريخ النقائض، ص 416.

2- أبو عبيدة معمر بن المثنى، التميمي البصري، ديوان النقائض، م1، ص 195.

3- أحمد الشايب، تاريخ النقائض، ص 416.

4- أحمد الشايب \_ تاريخ النقائض، ص 430.

كقول جرير: (1)

نسيتم عقر جعثن واحتبيتم	ألا تبا لفخرك بالحبات
وقد دميت مواقع ركبتها	من التبراك ليس من الصلاة
تبيت الليل تسلق استكاها	كذاب الترك تلعب بالكرات

**6) الميل إلى الاستقصاء وحشد الأيام والحوادث والأسماء:** مما جعل النقائض سجلا تاريخيا لصفات القبائل وأيامها وحوادثها ورجالها المشهورين، وما ألم بحياتهم من مواقف كريمة مجيدة أو وضعية ذليلة.

فكل شاعر حرص على أن يحشد جانب قومه فضائلهم وأيامهم ومواقفهم وأمجادهم وأن يضع بجوارها مثالب خصمه وهزائم رهطه ومخازيهم وجبنائهم إلى غير ذلك مما تقتضيه مواقف التحدي والمفاخرة،<sup>(2)</sup> قال الفرزدق في ميميته المشهورة يسرد من أيام وحوادث:

ويوم جعلنا الظل فيه لعامر	مصممة تفأي شؤون الجماجم
فمنهن يوم للبريكين إذ ترى	بنو عامر أن غانم كل سالم
ومنهن إذ أرض طفيل ابن مالك	على عرزل رجلي ركوض الهزائم
ويوم ابن ذي سيدان إذ فوزت به	إلى الموت أعجاز الرماح الغواشم
ونحن ضربنا قامة ابن خويلد	يزيد على أم العراح الجواثم

1- أبو عميدة المنن التميمي البصري، ديوان النقائض م 1، ص 417.

2- أحمد الشايب، تاريخ النقائض، ص 419.

**7) تكرار الأيام والحوادث والمعاني:** كانت المناقضة طيلة العهد كثيرة العدد، تستفد المعاني بسرعة وتستغرقها بحيث يفرغ الشعراء ما في جعبهم في عدد قليل منها، لذلك عمدوا إلى التكرار وترديد المعاني، والأيام، والأحداث، فالأخطل يكرر أيام قومه على قيس، ومآثر دارم، ومثالب كليب، والفرزدق يفعل ذلك بالأيام والرجال، وأما جبر فقد لاحظ النفاذ إلحاحه على الفرزدق بمعاني الزبير، وجعثن، والقيول والزنا، والنفي من المدينة والشيف، وكأنهم عدوا ذك قصرا في هجائه، وضيقا في مجاله، وكذلك ردد مع الأخطل الخمر، والكفر وقذارة نسوة تغلب، وهزائم رجالهم.<sup>(1)</sup>

يقول جرير في نقيضته:<sup>(2)</sup>

فلو أيام جعثن كان قومي  
هم قوم الفرزدق ما استجارط  
فظل القين بعد نكاح ليلي  
يطير على سبالكم الشرار

**8) الجزالة:** كانت الجزالة هي الطابع الغالب على النقائض الأموية، وإذا كانت الجزالة تقابل الرذالة والإسعاف اللفظي فقد نجا شعر المناقضة من هذه الرذالة وزادت فخامة وقوة نشأت عن طبيعة الفخر والهجاء وعن شخصيات الشعراء<sup>(3)</sup> وفحولتهم التي بلغت ذروتها في الشعر العربي، على عهد الأمويين ويكن تبيين هذه الجزالة إذا وازنا بين النقائض وبين الشعر الغزلي والشعر السياسي في هذه الفترة ذاتها، فقد امتاز الغزل بالرقّة جزلة وامتاز الشعر السياسي بالسهولة والوضوح ثم القوة أحيانا، وكان لهذه الموضوعات أثر واضح في أساليب الشعر وعباراته وصوره، ولكن يلاحظ بجانب ذلك أن الجزالة كانت من طبع جرير والفرزدق والطرماح وغيرهم، ومن صنعة الأخطل وعبادته الشعر شأنه في

1- أحمد الشايب، تاريخ النقائض في الشعر العربي، ص 421.

2- أبو عبيدة المنن البصري التميمي، ديوان النقائض، ص 415.

3- أحمد الشايب، تاريخ النقائض، ص 422.

ذلك شأن زهير وبنيه والخطيئة ممن كانوا يعدون قصيدهم في أناة وقصد وإحكام. (1) فمن شواهد هذه الخاصية في شعر النقائض قو الفرزدق: (2)

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا      بَيْتاً دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ  
بَيْتاً بَنَاهُ لَنَا الْمَلِيكُ وَمَا بَنَى      حَكَمُ السَّمَاءِ فَإِنَّهُ لَا يُنْقَلُ  
أَحْلَامُنَا تَزُنُّ الْجِبَالَ رِزَانَةً      وَتَخَالُنَا جِنَّ إِذَا مَا نَجْهَلُ  
فَادْفَعْ بِكَفِّكَ إِنْ أَرَدْتَ بِنَاءَنَا      تَهْلَانِ ذَا الْهَضْبَاتِ هَلْ يَتَحَلَّلُ

وصنعة الأخطل ظاهرة في رايته التي تشبه حوليات زهير بن أبي سلمى ومنها قوله: (3)

حُشِدْ عَلَى الْحَقِّ عَيَّافُو الْخَنَا أَنْفُتْ      إِذَا أَلَمَّتْ بِهِمْ مَكْرُوهُةٌ صَبَرُوا  
شَمْسُ الْعَدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ      وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَاماً إِذَا قَدَرُوا  
لَا يَسْتَقِلُّ دَوُو الْأَضْغَانِ حَرَبَهُمْ      وَلَا يُبَيِّنُ فِي عِيدَانِهِمْ حَوْرُ

1- أحمد الشايب، تاريخ النقائض، ص 424 .

2- أبو عبيدة، محمد بن المنن التميمي البصري، ديوان النقائض، م 1، ص 163 \_ 167.

3- أبو تمام، نقائض جرير والفرزدق، ص 136، 157.

**9) تكرار المعاني:** والمقصود بالمعاني الأفكار والحقائق النظرية والواقعية فإلى أي حد تصح هذه الأفكار التي دارت في النقائض الأموية؟

وهل كميتها تكفي لملء هذه الدواوين الضخمة؟ وإذا كان هنالك اختراع وافتراء فهل يجوز ذلك في هذا الباب؟

كمية المعاني في النقائض الأموية كانت قليلة فاضطر الشعراء إلى تكرارها، حيث كان لهذا التكرار صور مختلفة أحيانا، ولكنها صور ضاقت على التنوع الكافي والتجديد المقبول، وأما عن صحة المعاني تجد جريرا مثلا يرمي جعثن بغير حق، والفرزدق يشنع بأم جرير تشنيعا باطلا، والأخطل يفخر بأيام ليست له، وأما عن ذلك البهتان والمبالغة فكان التوجيه يبرر بعضها كمعاني السيف وأسر حاجب بن زرارة، والغدر بالزبير بن العوام، وادعاء يربوع يوم ذي قار، على أن الكذب في الشعر لا يتسع لكل ما ادعى هؤلاء وحادوا فيه عن حادة الصواب.

وهنالك الأفكار القيمة والحكم الخالدة وهي قليلة بالمقارنة بكثرة النقائض، فما هي إلا أبيات صارت مثلا معروفا وإلا أبياتا مضمنة حكما قرآنية. (1)

ومثال ذلك قول الفرزدق: (2)

ولست بمأخوذ بلغو تقوله إذ المتعمد عاقدات العزائم

1- أحمد الشايب، تاريخ النقائض، ص 425.

2- الفرزدق، ديوان الفرزدق، م 2، ص 304.

**10) العواطف:** كانت عواطف النقائض كلما بغضا وحنفا في الهجاء، وحباً وولها في النسب، وكانت تحدياً وتعالياً في الفخر.

فقد كانت نسيب جرير طبيعياً مع عفافه، رفيقاً شجياً بخلاف نسيب الفرزدق الذي كان متصنعاً أو جافياً غليظاً ليس فيه رقة جرير، ولا صدقه، وكذلك الأمر مع الأخطل، كما كان فخر الفرزدق بقومه صادقاً طبيعياً، وكذلك فخر جرير بقوله أمام تغلب، ويربوع أمام دارم.

بقي فخر جرير بقيس والفرزدق بتغلب، والمفروض أنه لا يبلغ درجة سابقة في الصدق والقوة، ولكن الذي يبعث فيه الحياة هو موقف التحدي والملاحاة بين المتناقضين، وكان هجاء جرير عاطفياً عنيماً يمثل السخط الحقيقي ويؤدي هذه الرسالة التي بعثه بها أهله إلى المزبد عنهم ضد كل من هجاهم.

كما أن النقائض في بعض الأحيان تستحيل صنعة فنية كما يفعل المتبارون في الغناء والملاحاة بالمواويل دون حق.<sup>(1)</sup>

1- أحمد الشايب، تاريخ النقائض، ص 427.

# الفصل الثاني:

## الدراسة الفنية

المبحث الأول: نبذة عن حياة الشعراء (جرير، الفرزدق، الأخطل)

المبحث الثاني: نماذج شعرية.

المبحث الثالث: دراسة فنية تحليلية للقصائد.

## تمهيد:

تطرقنا في الفصل الأول إلى أهم الأمور النظرية فيما يخص فن النقائض انطلاقاً من المفهوم، اللغة، الموضوعات وصولاً إلى أهم المميزات.

واستكمالاً لأهداف الدراسة، سنتعرض في هذا الفصل إلى الجانب التطبيقي، أو بالأحرى سنحاول أن نطبق بعضاً ما ذكرناه على نماذج شعرية بحيث اخترنا لكل شاعر قصيدة، سنتعرض لها بالتحليل والدراسة مسلطين الضوء على أهم خصائصها.

## المبحث الأول: نبذة عن حياة الشعراء (جرير والفرزدق والأخطل)

## 1- نبذة عن حياة جرير:

اسمه ونسبه: جرير بن عطية بن الخطفي، واسم الخطفي حذيفة بن بدر ابن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع،<sup>(1)</sup> التميمي، ولد في اليمامة نحو عام 653م/33هـ. ن أب وضيع حامل بخيل، وأم تلقب بحقة بنت معبد الكلبية.

نشأته وشبابه: نشأ في عشيرته نشأة البدوي الفقير يرعى لأبيه الغنم والمعز. كان فصيح اللسان، مطبوعا على الشعر منذ صغره، وأظهر حدة وشدة على خصومه من قبيلته ومن القبائل التي كانت تخاصم قبيلته حتى عظم شأنه وعلا مقامه ولما تأجحت نيران التهاجي ترك اليمامة قاصدا البصرة في العراق، ومن هناك راح يضرب في الأرض إلى الحجاز فالبحرين فدمشق فالرصافة، منتجعا نوي السلطان، وافدا على الأمراء يبغى عطاياهم.<sup>(2)</sup> تزوج نساء عدة، ذكر منهن ثلاثا في شعره، وأنحن أولاد عدة، أكبرهم كان يسمى "حزرة" لهذه لقب جرير بأبي حزرة، وبعدهما رأى الشعراء يتها ليكون على أبواب الخليفة، وعلم من أمر الأخطل، هاجت فيه الرغبة إلى أن يتصل بعبد الملك بن مروان أملا منه أن ينال كغيره مالا وخيرا، إلا أنه لم يحظى بما كان يأمل، ثم حاول مجددا بعد جهد ونجح في الإمتثال بين يدي الخليفة فأحشده قصيدته التي يقول فيها:

أَسْتُمُّ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا      وَأُنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونِ رَاحٍ

1- محمد ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، دار المدني، جدة، (د \_ ط) ص 01 / دار الكتب العلمية (د \_ ط)، (د ت)، ص 296.

2- أحمد بن إبراهيم بن مصطفى، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، ص296.

وعرض بابن الزبير فأجازه عبد الملك، كما اتصل بالوليد بن عبد الملك ولقي لديه الحظوة نفسها التي كان يلقاها عند أبيه، وفي ذلك العهد<sup>(1)</sup> احتدت التهاجي بين جرير وغدي بن الرقاع شاعر الوليد، وسببه ما كان من مضرية جرير وقحطانية عدي.<sup>(2)</sup>

وفي آخر عهد الوليد مات الحجاج فقد جرير بموته ركنا أساسيا كان يعتمد عليه في العراق، وعندما بويع عمر بن عبد العزيز بالخلافة مدحه جرير فلم يصله وذلك أن ابن عبد العزيز كان يباعد الشعراء ويقرب الفقراء، على حد قول جرير نفسه.

### سبب تسميته بجرير:

وسمي جريرا لأن أمه رأت في منامها أثناء حملها به. كأنها ولدت حبلا من شعر أسود، فلما سقط منها جعل ينزو، فيقع في عنق هذا فيخنقه، ثم في عنق آخر، حتى يكاد يقتل عدة من الناس، ففرعت من رؤياها، وقصتها على معبر فقال لها: أن صدقت رؤياك، ولدت ولدا يكون بلاء على الناس... فلما ولدته سمته جريرا باسم الحبل الذي رآته، وكان تأويل رؤياها أنه هجا ثمانين شاعرا فغلبهم كلهم إلا الفرزدق كما تقول الرواية.<sup>(3)</sup>

وكان جرير من أتقى الناس<sup>(4)</sup> حتى أنه كان إذا صلى الصبح لا يتكلم ولو تناحر الحي \_ إلى أن تطلع الشمس،<sup>(5)</sup> وكان عفيفا دينا زني مرة وما كان تضم شفاته من النسيج، فقيل له: وما ينفعك هذا؟! قال: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله الحمد إن الحسنات يذهبن السيئات، وعد من الله حق.

1- حسن الشيخ الفاتح، جرير مدينة الشعر، دار الجيل، بيروت، ط 1.

2- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ج 2، العصر الإسلامي، ص 282.

3- حسن الشيخ الفاتح، جرير مدينة الشعر، ص 37.

4- أبو فرج الأصفهالي، ح 8، ص 36.

5- كارلو نالينو، تاريخ الآداب العربية، ص 104.

هذا ويسوق الكتاب روايات عدة يدللون بها على ما سبق متخذين من الحجاج وابن عبد العزيز شهود عيان تارة، ومن عامة منافسه الفرزدق نفسه اعترافه بتفوق جرير عليه في العفة والرقعة، وإقراره على نفسه بالفجور. (1)

**أسلوبه:** غير أسلوب الفرزدق، فالفرزدق يعي نفسه ويوطي خصمه، أما جرير فيتبع مثالب خصمه واحدة فواحدة، وإن لم تكن خلقها كهجوه الفرزدق يعبره بالجبن، يذكره بطرده من المدينة، يتهمه بالنصرانية ولنشأته التي نلخصها لك في تكوين هذه الصفات.

### محيطه:

أصغر من الفرزدق سنا وقبيلته الفرزدق عزة، أسرته فقيرة، لا شهرة لها ولا حسب بالنسبة للفرزدق، كان أبوه معدما فقيرا فنشأ بئسا ضعيفا، فأعانه ذلك على التفوق والنبوغ، فاشتد في الخصام على مقارعيه، فغلبه.

كان الهجاء أولا بينه وبين البعيث من رهط الفرزدق، دافع الفرزدق عن البعيث فانبرى له جريرا، وانصرفا لبعضهما. (2)

### وفاته:

وبعد عمر نهز الثمانين توفي شاعرنا، واختلف المؤرخون في تحديد تاريخ وفاته، على أنه في الأغلب سنة 114هـ / 833م.

1- حسن الشيخ الفاتح، جرير جرير مدينة الشعر، ص 39.

2- مروان عيود، أدب العرب مختصر تاريخ، نشأته وتطوره وسير مشاهير رجاله وخطوط أولى من صورهم، ص 138.

## 2- نبذة عن حياة الأخطل:

هو غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة بن عمرو بن الفدوكس بن عمرو بن مالك بن جبثم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار.<sup>(1)</sup>

يرجع الأخطل في نسبه إلى "تغلب"، وهي امرأة في العصور القديمة، نسب إليها أبنائها إذ كانوا يرددون اسمها في الحروب "تغلب، تغلب" لإثارة الحماسة في المقاتلين فيصرخون: بالتغلب ابنة وائل"، وقيل إن اسم "تغلب" هو لقب لـ"دثار بن وائل" الذي كان أمل أبيه في أن يكون غالبا فيغلب ولقب "بغالبا".<sup>(2)</sup>

وعرف عن تغلب بقوتها وبأسها، فتاريخها حافل بالأمجاد والبطولات فهي لم تدخل فيها دخل فيها العرب كافة عن الإسلام، ولم تنزل عن دينها حين داهمتها جيوش المسلمين، فبقيت على نصرانيتها وقرها عمر على ذلك ورضي بالجزية وظلت هي تؤيدها كل عام.<sup>(3)</sup>

## نشأته وشبابه:

لا يمكن الجزم بتاريخ محدد لولادة الأخطل، لأنه لم يذكر في المصادر العربية عن تاريخ ولادته، ولكن أغلب الظن أنه ولد بعد الجاهلية، استنادا إلى رواية «أبي عبيدة عن أبي عمرو بن العلاء» التي جاء فيها: «لو أدرك الأخطل يوما واحدا من الجاهلية ما قدمت إليه أحدا» والمعروف أنه ولد في موقع قريب من «الحيرة».

1- أبو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، أنساب الحرب، دار الكتب العالمية، بيروت لبنان (د\_ط)، 1418هـ، 1998م، ص351.

2- شرح ديوان الأخطل، سوزان عكاري، ص 6

3- بنظر: مارون عبود، أدب العرب، (مختصر تاريخ نشأته وتطوره وسير مشاهير رجاله وخطوط أولى من صورهم، ص125.

ترعرع شاعرنا يتيما فقد أمه منذ صغره، وبذلك عاش في كنف<sup>(1)</sup> زوج أبيه التي كانت تقسوا عليه وتحرمه من الطعام، وتبعث به إلى رعاية الماشية، هذه المعاملة القاسية كانت تدفع به إلى استعمال غيابها وأخذ نصيحته من الزاد، وعندما عادت ضربته ضربا مبرحا، فهرب وهجاها بأبيات من شعر، التي تعد بدايات هجاءه وأحد الأسباب التي دفعته إليه<sup>(2)</sup>.

أما عن زواجه فقد ذكر أنه تزوج الأخطل مرتين: الأولى كانت «أم مالك»، أما الثانية فكانت مطلقة إعرابي. وقضى شبابه يقول الشعر في حوادث البادية<sup>(3)</sup>.

ولما كانت أيام معاوية وظهر الشر بين الأموية والأنصار احتاج يزيد إلى من يهجوهم، فدل على الأخطل ففعل بعد أن نكل غيره عن ذلك، فطار صيته بشدة هجائه.

ناضل عن بني أمية شاعرا ماجورا يريد الاتصال ببلاط الخليفة، وناضل الزبيريين أيام عبد الملك دفاعا عن قبيلته ومكانتها، فكان في ذلك بالطبع ملخصا غير ماجورا. عرف الأخطل عزا في بلاط الأمويين، لا سيما على عهد «عبد الملك بن مروان»، لدرجة أنه كان له عالمان يخدمونه<sup>(4)</sup>.

وبعد وفاة عبد الملك بن مروان بعد أن ولي ابنه الوليد الخلافة انصرف للاهتمام بالفتوح<sup>(5)</sup>.

1- ينظر: شرح ديوان الأخطل، سوزان عكاري، ص 6\_7.

2- ينظر: شرح ديوان الأخطل، سوزان عكاري، ص 07.

3- ينظر: شرح ديوان الأخطل، مهدي محمد ناصر الدين، ص 07.

4- مارون عبود، أدب العرب، (مختصر تاريخ نشأته وتطوره وسير مشاهير رجاله وخطوط أولى من صورهم، ص 125.

5- ينظر: شرح ديوان الأخطل، سوزان عكاري، ص 08.

## سبب تسميته بالأخطل:

لقب شاعرنا بالأخطل، وفي هذه التسمية اختلف الدارسون، فابن قتيبة يرجع كلمة الأخطل من الخطل وهو استرخاء الأذنيين. أما أبو عبيدة وهو أحد رواة الأخطل، فيرد سبب تسمية إلى أن الشاعر هجا وهو بعد يافع رجلا من قومه فأجابه: «يا غلام، إنك لأخطل» أي أنه أسنى وسليط اللسان، وهو أمر معروف في هجاء "الأخطل".<sup>(1)</sup>

وفي تسمية "الأخطل" روايات عنها: أن عتبة الزعل حمل حمالة فجاء قومه يسأل فيها، فجعل "الأخطل" يتكلم وهو يومئذ غلام فقال "عتبة" من هذا الغلام الأخطل؟

وقال الجواليقي: سمي الأخطل بذلك من قولك: خطل في كلامه يخطل خطلا، إذا كان مضطرب الكلام» وقال الزبيدي: «رجل أخطل اللسان: وضطربه وبه لقب الشاعر». <sup>(2)</sup>

أما ألقابه الأخرى فإنها تعد ثانوية بالنسبة للقب الذي اشتهر به، فقد ذكر المؤرخون أن أمه لقبته في طفولته «بدوبل». والدوبل هو الخنزير أو الحمار القصيرة الذنب، ولقب كذلك بذئ الصليب وذلك بسبب الصليب الذي علقت أمه على صدره والذي لم ينزعه حق عند دخوله على الخفاء، فعرف لذلك بذئ الصليب.

## شخصيته وصفاته:

يبدو الأخطل من خلال وصف معاصريه، أشقر الشعر، أصبه اللون، قريبا في سماته البدنية من الأعاجم. ولكن الحياة القبلية، صهرت فيه التقاليد العربية الأصلية من شجاعة وكرم، إضافة إلى سمات أخرى طبعت حياته وقصائده.

1- ينظر: شرح ديوان الأخطل، سوزان عكاري، ص 08\_09.

2- ينظر: شرح ديوان الأخطل، مهدي الناصر الدين، ص 03\_05.

وكما سبق وأشرت فإن شاعرنا تربى محروماً من حنان الأم، يعاني قسوة زوج أبيه فما فيه ميل من المشاكسة، وهذا ما تحلى في حوادث سجلها وهو بعد يافع، منها ما كان من أمره يوم هجا «ابن جعيل» شاعر «تغلب» الأول، بعد أن أفلت غنمه، وقد شب على هذه النزعة كنتيجة لما عاناه، فترتب عليها التصور والهجاء عفويا، بالإضافة إلى حب العبث والمحبون، وكأنما نزعة لا واعية للتعويض عن مرارة الطفولة بعبث ومنها الشاب، ولكن ذلك لم ينسه الفصاحم العربية الأصلية، كالكرم، ما ذكرت الروايات في كرمه مع خصمه «الفرزدق»<sup>(1)</sup>.

إضافة إلى الكرم هناك صفة الشجاعة والفروسية التي ينشأ عليها العربي، فغالبا ما كان يفخر بقومه بسيفه ولسانه<sup>(2)</sup>.

### 3- نبذة عن حياة الفرزدق:

#### اسمه ونسبه:

هو همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان ابن مجاشع بن دارم<sup>(3)</sup> ودارم هو ابن تميم الذي تنسب القبيلة المعروفة.

ولد الفرزدق في خلافة عثمان بن عفان أي ما بين سنة 23هـ و35م هذا ما رجحه ممدوح حقي، أما فؤاد أفرام البستاني فقد مال إلى ذكر السنة وجعلها 641م، أي ما يعادل 21هـ، ولكنه لم يعلل هذا وإن جعل أمام الرقم علامة استفهام دلالة على عدم تيقنه منه<sup>(4)</sup>.

1- ينظر: شرح ديوان الأخطل، سوزان عكاري، ص 10\_11.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص 11.

3- ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تح مفيد قميحة ونعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 2، 1405هـ، 1985م، ص 310.

4- جرير، ديوان جرير، ص 10.

## نشأته وشبابه:

نشأ بالبصرة بين غصحاء العرب فلم تشب لغته عجمة ولا لحن. نشأ كالأخطل من قبيلة عديدة عزيزة مثرية، أسرته الخاصة أقوى التميميين كريمة إلى حد الإسراف، فورث الفرزدق عنها الباس والعزة والنفور من كل سلطة.

كان شكسا محبا للخصومات يهجو الأفراد والجماعات. رفع أمره لزياد قفز تاركا العراق لاجئا إلى الجزيرة حيث مدح عمرو بن العاص فأجاره عمرو. ولما مات زياد عاد إلى وطنه وظل فيه حتى مات معاوية ويزيد واشتد الاضطراب وفسدت الدولة، فكان الفرزدق شكسا شديدة الشكيمة عجزت السلطات عن تقويمه إلى الاعتدال،<sup>(1)</sup> وقد عرف بالتمرد وسلطان اللسان والانقلاب على الممدوحين، فما أكثر الذين مدحهم وهجاهم في الوقت نفسه، ذلك أن ولاءه الحقيقي كان لقبيلته، ولعادات جاهلية لم يستطع التخلي عنها.<sup>(2)</sup>

ولكن ظهور جرير اضطره إلى التفكير قبل القول، وأجبره على تجويد الشعر والعناية به.

## سبب تسميته بالفرزدق:

الفرزدق غالب ابنه بالفرزدق، وقد اختلفت الآراء في سبب هذا الإطلاق، وإن كانت متقاربة من ذلك الفرزدقة هي الفتية التي تشربها النساء، فلقب بها لقصره وغلظه،<sup>(3)</sup> قريب من ذلك ما في الأغاني من أن الفرزدق هو الرغيف الضخم الذي يجففه النساء للفتوت فكان صفة لوجه الشاعر الغليظ الجهم. واللفظة فارسية الأصل كما في مصادر مجمع اللغة

1- محمد رضا مروى: الفرزدق حياته وشعره، دار الكتب العلمية، ط 1990، 1، ص 23.

2- مارون عبود، أدب العرب مختصر تاريخ نشأته وتطوره وسير مشاهير رجاله وخطوط أول من صورهم، ص 132.

3- ابن فتيبة، الشعر والشعراء، ص 311.

العربية بالقاهرة، وأصلها يرازدة أي قطعة العجين، قال الرازي في مختار الصحاح «وبه شمي الفرزدق واسمه همام». (1)

وقد جاء عن هشام الغزى أنه اجتمع بالفرزدق في مجلس فتجاهله، وقال: من أنت؟ فقال: أما تعرفني؟ قال: لا، قال: أنا أبو فراس، قال: ومن أبو فراس؟ قال: أنا الفرزدق، قال: ومن الفرزدق؟ قال: أو ما تعرف الفرزدق؟ فأجاب: أعف الفرزدق، إنه شيء تتخذ النساء عندنا بالمدينة تتسمن به، وهو الفتوت، فضحك عندئذ الفرزدق ملء فمه، وقال: الحمد لله الذي جعلني في بطون نسائك. (2)

### صفات الفرزدق:

الفرزدق بدوي، لم تغير المدينة من أخلاقه ومزاجه شيء، فقد ظل خشن المعشر جاف الطباع، حديد اللسان، مولعا بافتعال الخصومات، يجمع إلى إباء أهل البادية وكرههم المساواة والمراوغة والخضوع جبن أهل المدينة، وتهتكهم ومساومتهم... يدل على إباطه هجاؤه لبني فقيم الذين خرجوا يوما يطلبون دما لهم في قوم، فصالحوا منه على دية... فاعتبرها مساومة منهم، ياباها الشرف البدوي... فمضى يهجوهم ويكثر من تثريبهم، إلى أن شكوه لزياد بن أبيه (3) خطبه فخاف وولى هاربا شطر البادية مستجيرا ببعض شيوخ القبائل، فأجاره قوم من بكر بن وائل.

1- أبو فرج الأصفهاني، الأغاني، ص 615.

2- جرير، ديوان جرير، ص 11، 12.

3- قليل شرف الدين، الموسوعة الأدبية المسيرة (أبو فراس، الفرزدق، البحتري)، دار مكة هلال، بيروت، لبنان، (د\_ط)، 1996، ص 14\_15.

كما كان له ولعهم، بل ايمانهم بأخذ الثأر، وتمسكهم بمظاهر الضيافة الجاهلية من نحرهم النياق للضيفان، وعلى قبور الأصدقاء تكريما لذكراهم.

ثم هو يعتبر عبادة الأوان في الجاهلية شيمة من شيم العرب، ومن لم يعبدها لا يعتبر عربيا في نظره... لذلك هجا آل المهلب بكونهم لم يعبدوا الأوثان في الجاهلية.(1)

حق غزله ينضح في خياله الجاف من تصور خشن للقاء الحبيب، فهو يتمنى أن ينقلب هو وحبيبته بعيرين أجريين يطردهما الناس كلما رأوها يردان الماء ليبقيا بعيدين عن أعينهم ناعمين بالوحدة والحرية.

هذه الجفوة فيه أو الوحشة هي التي جعلته بعيدا عن كل ما يسمى حنانا ولطفا، ورقة. فكان طبيعيا أن تنفر منه زوجاته، وأن يشكو أولاده ابغدام حنانه. أما إذا مات أحدهم وراثه، فإنما يفعل ذلك جربا على العادة لا أكثر.(2)

### أسلوبه:

الفرزدق كما نعلم هو ثالث الثلاثة الشعراء المقدمين في صدر الإسلام وهم محط بحثنا (جرير والأخطل والفرزدق)، وكان لكل منهم أسلوبه الخاص الذي يمتاز به على صاحبيه، وكانت ميزة الفرزدق هي جزالة اللفظ وفخامته، وفي نفس الوقت نجده خشنا، وكان المفصل الضبي يفضل على سائر شعراء زمنه.(3)

1- خليل شرف الدين، الموسوعة الأدبية المسيرة (أبو فراس، الفرزدق، البحتري) ص 15\_16.

2- المرجع نفسه، ص 16

3- الفرزدق، ديوان الفرزدق، ص 06.

## وفاة الفرزدق:

أخبرنا عبد الله بن مالك، قال: حدثني محمد بن موسى قال: حدثنا أبو علمة الضبي قال: أخبرنا أبو خاتم السحبستاني عن محمد بن عبد الله الأنصاري قال أبو عكرمة، وحكى لنا عن لبطة بن الفرزدق أن أباه أصابته ذات الجنب فكانت سبب وفاته، قال: ووضى له أن يشرب النفط الأبيض، فجعلناه له في قدح، وسقيناها إياه فقال: يا بني إنك فجلت لأبيك وجعلت أكررها عليه تكرارا، شراب أهل النار، فقلت له: يا أبت قل لا إله إلا الله، وجعلت أكررها عليه مرارا. (1)

---

1- شاكرا الفحام، ديوان الفرزدق، ص132.

المبحث الثاني: نماذج شعرية:

قال الأخطل يمدح بني دارم ويهجو جرير: (1)

وَالْعَالِمُونَ فَكُلُّهُمْ يَلْحَانِي (2)	يَكُرُّ الْعَوَازِلِ يَبْتَدِرْنَ مَلَامَتِي
صَرَفٍ مُشْعَشَعَةٍ بِمَاءِ شِنَانٍ (3)	فِي أَنْ سَقَيْتَ بَشْرَبَةً مَقْدِيَّةً
عَمْدًا لِأَرْوِيهِ كَمَا أَرْوَانِي	فَضَلْتُ أَسْقِي صَاحِبِي مِنْ بَرْدِهَا
شَوْقًا لَنَا رِيًّا وَامَّ أَبَانٍ (4)	وَذَكَرْتُ إِذْ جَرَتْ الشَّمَالُ فَهَيَّجَتْ
مَدْحًا يَشِبُّ بِهِنَّ كُلَّ مَكَانٍ	وَالْحَارِثِيَّةُ إِنِّي مُهْدٍ لَهَا
صور المها بزخارف البنيان	لأقبتها بمجمع فأرينني
لَا يَحْفَظُونَ مَحَارِمَ الْجِيرَانِ	قَبَّحَ إِلَهَهُ بَنِي كَلَيْبِ إِنَّهُمْ
لَمْ يَنْزَعُوا بِقَوَارِعِ الْفُرْقَانِ	قَوْمٌ إِذَا نَفَخَ الْحَقِينُ بَطُونَهُمْ
لَمْ يَنْدُبُوا لِتَرَافِدِ الْأَعْوَانِ	وَإِذَا تَنَوَّدَ لِلْمَكَارِمِ وَالْعُلَا
كَأَسِيفَةٍ فَخَرَّتْ بِجِدْجِ حَصَانِ	أَجْرِيرُ إِنَّكَ وَالَّذِي تَسْمُو لَهُ
وَسَنَاؤُهَا فِي سَالِفِ الْأَزْمَانِ	أَتَعُدُّ مَأْثِرَةَ لِعَيْرِكَ ذِكْرُهَا

1- أبو عبيد معمر بن المثنى، النقائص، ص 228.

2- يلحى: يلوم، واللحاء واللوم.

3- مقدية قد قذيت وصفيت، مشعشعة ممزوجة، وماء مقطر، والماء الذي يقطر من قربة أو شجر شنان وشنانة.

4- الشمال: ريح الشمال وهي ريح باردة طيبة.

تأج الملوک وصهرها في دارم  
 وإذا وضعت أباك في ميزانهم  
 وأقد تقايستهم على أحسابكم  
 فإذا سمعت بدارم قد أقبلوا  
 وإذا وردت الماء كان لدارم  
 أنسيت قنلى بالكلاب وحابس  
 أيام يربوع مع الرعيان  
 وجحوا وشال أبوك في الميزان  
 وجعأتم حكما من السلطان (1)  
 فأذهب إليك مخافة الطوفان  
 عفواته وسهولة الأعلان (2)  
 وبكيت ويحك برقة الروحان

وقال الفرزدق يهجو جريرا: (3)

يا ابن المراغة والهجاه إذا التقت  
 ما ضرر تغلب وائل أهجوتها  
 يا ابن المراغة إن تغلب وائل  
 كان الهديل يقود كل طمرة  
 يصهلن بالنظر البعيد كأنما  
 يقطعن كل مدى بعيد غوله  
 وكان رايات الهديل إذا بدت  
 أعناقهم وتماحك الخصمان  
 أم بليت حيث تناطح البحران  
 رفعا عنائي فوق كل عنان  
 دهماة مقربة وكل حصان (4)  
 إرنانها بيواتن الأشطان  
 حباب السباع يقدن بالأرسان  
 فوق الخميس كواسر العقبان

1- المقايسة أن تقول أبي أشرف من أبيك وأبي فلان.

2- عفواته: خيره، يقول يأخذون أسهل الأعطان ويعطونك أغظها، الأعطان: مبارك الإبل ومرابض الغنم.

3- أبو تمام، نقائض جرير والفرزدق، ص 235-254.

4- الطمرة: الفرس الطويلة، والخيال المقربة: هي أكرم الخيل وأجودها، وأسرعها.

وَرَدُوا أَرَابَ بَجْحَلٍ مِنْ وَايِلٍ	لَجِبِ الْعَشِيِّ ضُبَارِكِ الْأَرْكَانِ (1)
وَيَبِيتُ فِيهِ مِنَ الْمَخَافَةِ عَائِداً	أَلْفٌ عَلَيْهِ قَوَانِسُ الْأَبْدَانِ
تَرَكَوْا لِتَغْلِبَ إِذْ رَأَوْا أَرْمَاحَهُمْ	بِأَرَابِ كُلِّ لَثِيمَةٍ مِدْرَانَ (2)
تُدْمِي وَتَغْلِبُ يَمْنَعُونَ بِنَاتِهِمْ	أَقْدَامَهُنَّ حِجَارَةَ الصَّوَانِ (3)
يَمْشِينَ فِي أَنْثْرِ الْهُذَيْلِ وَتَارَةً	يُردَفْنَ خَلْفَ أَوَاخِرِ الرُّكْبَانِ
لَوْلَا أَنَاثُهُمْ وَفَضْلُ حُلُومِهِمْ	بَاعُوا أَبَاكَ بِأَوْكَسِ الْأَثْمَانِ
وَالْحَوْفَرَانَ أَمِيرُهُمْ مُتَضَائِلٌ	فِي جَمْعِ تَغْلِبَ ضَارِبُ بَجْرَانَ
أَحْبِبِينَ تَغْلِبَ إِذْ هَبَطْنَ بِلَادَهُمْ	لَمَّا سَمِنَ وَكُنَّ غَيْرَ سِمَانَ
يَمْشِينَ بِالْفَضَلَاتِ وَسَطَ شُرُوبِهِمْ	يَتَّبَعْنَ كُلَّ عَقِيرَةٍ وَدُخَانِ
يَنْبَايَعُونَ إِذَا انْتَشَوْا بِبِنَاتِكُمْ	عِنْدَ الْإِيَابِ بِأَوْكَسِ الْأَثْمَانِ
وَإِسْأَلُ بِنْتِغْلِبَ كَيْفَ كَانَ قَدِيمُهَا	وَقَدِيمُ قَوْمِكَ أَوَّلَ الْأَزْمَانِ
قَوْمٌ هُمْ قَتَلُوا ابْنَ هِنْدٍ عَنَوَةً	عَمراً وَهُمْ قَسَطُوا عَلَى النُّعْمَانِ (4)
قَتَلُوا الصَّنَائِعَ وَالْمُلُوكَ وَأَوْقَدُوا	نَارِينَ قَدْ عَلَّتَا عَلَى النَّيْرَانِ

1- إراب: موضع ، الجحفل: الجيش كثير الخيل، لجب الشعبي: يريد الأصوات.

2- مدران: كثير الوسخ، والدرن هو الوسخ، يقول: خلوا نساءهم وهربوا

3- الصوان: الحجارة الرخوة، يريد أن يسقن حفاة فتدمى أرجلهم.

4- قسطوا: ظلموا وأوقعوا الظلم على الملك النعمان لقوتهم.

لَوْلَا فَوَارِسُ تَغْلِبِ ابْنَةِ وائِلٍ  
 نَزَلَ الْعَدُوُّ عَلَيْكَ كُلَّ مَكَانٍ  
 حَبَسُوا ابْنَ قَيْصَرَ وَابْتَنُوا بِرِمَاجِهِمْ  
 يَوْمَ الْكَلَابِ كَأَكْرَمِ الْبُنْيَانِ  
 وَقَدْ عَلِمْتُ لِيَذْرِفَنَّ ذَا بَطْنِهِ  
 يَرْبُو عُمْكُمْ لِمَوْقِصِ الْأَقْرَانِ<sup>(1)</sup>  
 إِنَّ الْأَرَاقِمَ لَنْ يَنَالَ قَدِيمَهَا  
 كَلْبٌ عَوَى مُتَهْتِمٌ الْأَسْنَانَ  
 قَوْمٌ إِذَا وُزِنُوا بِقَوْمٍ فَضَّلُوا  
 مِثْلِي مُوَارِيهِمْ عَلَى الْمِيزَانِ

### وقال جرير:

لِمَنْ الدِّيارُ بِبُرْقَةِ الرُّوحانِ  
 إِذْ لَا نَبِيْعُ زَمَانِنَا بِزَمَانِ  
 إِنْ زُرْتُ أَهْلَكَ لَمْ يُبَالُوا حَاجَتِي  
 وَإِذَا هَجَرْتُكَ شَفَّنِي هِجْرَانِي  
 هَلْ رَامَ جَوْ سُوَيْقَتَيْنِ مَكَانَهُ  
 أَوْ حَلَّ بَعْدَ مَحَلِّنا الْبُرْدانِ<sup>(2)</sup>  
 رَاجَعْتُ بَعْدَ سُلُوْهِنَّ صَبَابَةً  
 وَعَرَفْتُ رَسْمَ مَنازِلِ أَبْكَانِي  
 أَصْبَحَنْ بَعْدَ نَعِيمِ عَيْشِ مُؤْنِقِ  
 قَفْرًا وَبَعْدَ نَواعِمِ أَخْدانِ  
 قَدْ رابني نَزْعٌ وَشَيْبٌ شائِعٌ  
 بَعْدَ الشَّبَابِ وَعَصْرِهِ الْفَيْنانِ<sup>(3)</sup>  
 شَغَفَ الْقُلُوبَ وَمَا تُقْضَى حَاجَةٌ  
 مِثْلُ الْمَها بِصَرِيْمَةِ الْحومانِ  
 نَزَلَ الْمَشِيْبُ عَلَى الشَّبَابِ فَراعني  
 وَعَرَفْتُ مَنزِلَهُ عَلَى أَخْدانِي

1- البريوع: حيوان، الموقص: الكاسر، يذرف: يسيل.

2- البردان: مواقع.

3- الفينان: هو الكثير الشعر.

هَزَّ الْجَنُوبِ نَوَاعِمَ الْعِيدَانِ (1)	حورُ العُيُونِ يَمْسَنَ غَيْرَ جَوَادِفِ
وَإِذَا غَنِيَتْ فَهُنَّ عَنْكَ غَوَانِ	وَإِذَا وَعَدْنَكَ نَائِلًا أَخْلَفْنَهُ
أَمْ لَمْ يَزُعْكَ تَفَرُّقُ الْجِيرَانِ	أَصْحَا فُؤَادِكَ أَيَّ حِينِ أُوَانِ
تَدْعُو الْهَدِيدَ فَهَيَّجَتْ أَحْزَانِي	بَكَرَتْ حَمَامَةٌ أَيْكَةً مَحْزُونَةً
وَظِلَالِ أَخْضَرَ نَاعِمِ الْأَغْصَانِ	لَا زَلْتِ فِي غَلِّ يَسْرُوكِ نَاقِعِ
رَخِصِ الْأَنَامِلِ طَيِّبِ الْأُرْدَانِ	وَلَقَدْ أَبَيْتُ ضَجِيعَ كُلِّ مُخَضَّبِ
يَمْشِي الْهُوَيْنَا مَشِيَّةَ السَّكَرَانِ	عَطِرِ الثِّيَابِ مِنَ الْعَبِيرِ مُدْبِلِ
صَدَعِ الزُّجَاجَةِ مَا لِذَاكَ تَدَانِ	صَدَعِ الطَّعَانِ يَوْمَ بَنِّ فُؤَادِهِ
بِالْأَعْرَافِ بَوَاكِرِ الْأَطْعَانِ	هَلْ تُؤْنِسَانِ وَدَيْرٌ أَرُوِي بَيْنَنَا
طَوَّلُ الْوَجِيفِ عَلَى وَجَى الْأَمْرَانِ (2)	رَفَعْتُ مَائِرَةَ الدُّفُوفِ أَمَلَهَا
جَفْنُ طَوَيْتَ بِهِ نِجَادَ يَمَانِي	حَرْفًا أَضْرَّ بِهَا السِّفَارُ كَأَنَّهَا
تَرَكَوْا زَرُودَ خَبِيئَةِ الْأَعْطَانِ (3)	وَإِذَا لَقِيْتِ عَلَى زَرُودٍ مُجَاشِعًا
شَهِدُوا بِجَمْعِ ضَيَاطِرِ عُزْلَانِ (4)	قَتَلُوا الزُّبَيْرَ وَقِيلَ أَنَّ مُجَاشِعًا

1- العيدان: النخل الطوال، الواحدة عيدانة.

2- الأمران: واحدهما مرن: وهو ما لئن به الخف، ويريد بها الأخفاف، وذلك إذا حفي الخف يلين بالشحم.

3- الأعطان: مبرك الإبل.

4- عزلان: جمع أعزل: وهو من الرجال لا رمح له ولا سلاح.

بَغْلٌ تَقَاعَسَ فَوْقَهُ خُرْجَانِ	مِنْ كُلِّ مُنْتَفِخِ الْوَرِيدِ كَأَنَّهُ
لَا تَأْمَنَنَّ مُجَاشِعاً بِأَمَانِ	يَا مُسْتَجِيرَ مُجَاشِعٍ يَخْشَى الرَّدَى
بِئْسَ الْفَوَارِسُ أَيْلَةَ الْحَدَثَانِ	إِنَّ إِبْنَ شِعْرَةَ وَالْقَرِينَ وَضَوَطِراً
قَبِيحاً بِلَيْتِيهِ عَصِيماً دُخَانِ	أَبْنَى شِعْرَةَ إِنَّ سَعْداً لَمْ تَلِدْ
وَعَدَلْتَ خَالِكَ بِالْأَشَدِّ سِنَانِ (1)	أَبْنَا عَدَلْتَ بَنِي خَضَافٍ مُجَاشِعاً
بِمُجَارِفٍ جُحَفَ الْخَزِيرِ بَطَانِ	شَهَدْتَ عَشِيَّةَ رَحْرَحَانَ مُجَاشِعِ
قَتَلَى مُصْرَعَةً عَلَى الْأَعْطَانِ	وَطِنْتَ سَنَابِكُ خَيْلِ قَيْسٍ مِنْكُمْ
وَنَوَارَ حَيْثُ تَصَلَّصَلَ الْجِلَانِ	أَنْسَيْتَ أَعْيْنَ وَالرَّيَابَ وَجَارَكُمْ
سَلُّوا سُيُوفَهُمْ مِنَ الْأَجْفَانِ	لَمَّا لَقَيْتَ فَوَارِساً مِنْ عَامِرٍ
خَوْراً صَوَاحِبُ قَرْمَلٍ وَأَفَانِ (2)	مَلَأْتُمْ صُفْفَ السُّرُوجِ كَأَنَّكُمْ
وَالْخَيْلُ مُجْلِيَةٌ عَلَى حَلْبَانِ	لِلَّهِ دَرٌّ يَزِيدُ يَوْمَ دَعَاكُمْ
نَشَطُ الْبُرَاةِ عَوَاتِقِ الْخَرِبَانِ (3)	لَاقُوا فَوَارِسَ يَطْعَنُونَ ظُهُورَهُمْ
مِنْ نَسْلِ كُلِّ ضِفْنَةٍ مِبطَانِ	لَا يَخْفِينَنَّ عَلَيْكَ أَنَّ مُحَمَّدًا
فَإِنْقَلَّ مَنَاكِبَ يَدْبُلٍ وَدِقَانِ	إِنْ رُمْتَ عِنْدَ بَنِي أُسَيْدَةَ عِرْنَا

1- يقول: أبنا عدلت يا فرزدق خالك العلاء بخالي سنان الشديد.

2- النوق الخور: الغزار الكثيرة اللبن، يقول: سلحتم على السروج كأنكم نوق خور.

3- الخربان: ذكور الحباريات.

فَالْحَقُّ بِأَصْلِكَ مِنْ بَنِي دُهْمَانَ	إِنَّا لَنَعْرِفُ مَا أَبُوكَ بِحَاجِبِ
مِنَّا غَدَاةَ جَبْنَتِ غَيْرِ جَبَانَ	لَمَّا إِنهَزَمْتَ كَفَى الثُّغُورَ مُشَيِّعِ
وَبِمَالِكِ وَبِفَارِسِ الْعَلْهَانَ (1)	شَبَبْتُ فَخَرْتُ بِهِ عَلَيْكَ وَمَعُولِ
أَنْ لَا تَجُوزَ حُكُومَةُ النَّشْوَانِ	يَا ذَا الْعِبَاءَةِ إِنَّ بَشْرًا قَدْ قَضَى
إِنَّ الْحُكُومَةَ فِي بَنِي شَيْبَانَ	فَدَعُوا الْحُكُومَةَ لَسْتُمْ مِنْ أَهْلِهَا
أَوْ أَنْ يَفُوا بِحَقِيقَةِ الْجَبِرَانَ	بَكَرٌ أَحَقُّ بِأَنْ يَكُونُوا مَقْنَعًا
يَا خُزَرَ تَغْلِبَ لَسْتُمْ بِهَجَانَ	قَتَلُوا كَلْبِيكُمْ بِلَقْحَةِ جَارِهِمْ
تَاجُ الْمُلُوكِ وَرَايَةُ النَّعْمَانَ	كَذَبَ الْأَخْيَطِلُ إِنَّ قَوْمِي فِيهِمْ
وَالْحَنْتَفَانَ وَمِنْهُمْ الرِّدْفَانَ	مِنْهُمْ عُنَيْبَةُ وَالْمَجْلُ وَقَعْنَبُ
عِنْدَ الْمُلُوكِ وَعِنْدَ كُلِّ رِهَانَ	إِنِّي لَيُعْرِفُ فِي السُّرَادِقِ مَنْزِلِي
أَشْبِ أَلْفَ مَنْابِتِ الْعَيْصَانَ (2)	مَا زَالَ عَيْصُ بَنِي كَلْبِي فِي حِمَى
ضَرْبًا يَفُودُ عَوَاتِقَ الْأَبْدَانَ (3)	الضَّارِبِينَ إِذَا الْكُمَاءُ تَنَازَلُوا
نِعَمَ الْحُمَاءِ عَشِيَّةَ الْإِرْنَانَ (4)	وَحَمَى الْفَوَارِسَ مِنْ غُدَانَةِ أَنَّهُمْ

1- العلهان: عبد الله بن الحارث.

2- العيص: الأصل.

3- الأبدان: الدروع واحدهما بدن.

4- الارنان: الأصوات.

قَابُوسٌ يَعْلَمُ ذَاكَ وَالْجُونَانَ	إِنَّا لَنَسْتَلِبُ الْجَبَابِرَ تَاجَهُمْ
وَاللَّهُ أَنْزَلَهُ بِدَارِ هَوَانَ	وَلَقَدْ شَفَوْنَاكَ مِنَ الْمُكَّوَى جَنْبُهُ
رَوْقٌ شَبِيبِيَّتُهُ وَعُمْرُكَ فَن (1)	جَارَيْتَ مُطَّلِعَ الْجِرَاءِ بِنَايِهِ
ضَبَرَ الْمِنِينَ وَسَبَقَ كُلَّ رَهَانَ	مَا زِلْتُ مُذْ عَظَمَ الْخِطَارُ مُعَاوِدًا
وَاللَّهُ شَرَّفَ فَوْقَهُمْ بُنْيَانِي	مَا زَالَ مَنزِلُنَا لِنَتَغَلَّبَ غَالِبًا
صَعَبِ الدُّرَى مُتَمَنِّعِ الْأَرْكَانِ	فَأَقْبِضْ يَدَيْكَ فَإِنِّي فِي مُشْرِفٍ
بَدءٌ وَخَلِّيَ فِي الْجِرَاءِ عِنَانِي	وَلَقَدْ سَبَقْتُ فَمَا وَرَائِي لِأَجْقُ
حَطَمَ الشَّوَى مُتَكَسِّرِ الْأَسْنَانِ (2)	نَزَعَ الْأَخْيَطِلُ حِينَ جَدَّ جِرَاؤُنَا
مَنْ شَاءَ قَاسَ عِنَانَهُ بِعِنَانِي	قُلْ لِلْمُعَرِّضِ وَالْمُشَوِّرِ نَفْسَهُ
حَزَّ الْمَوَاسِمُ أَنْفَ الْأَقْيَانِ	عَمْدًا حَزَزْتُ أَنْوْفَ تَغْلِبَ مِثْلُ مَا
عِنْدِي مُحَاضِرَةٌ وَطُولُ هَوَانَ	وَلَقَدْ وَسَمْتُ مُجَاشِعًا وَلِتَغْلِبِ
يَنْتَقَاوَدُونَ تَقَاوَدَ الْعُمِيَانِ	قَيْسٌ عَلَى وَضَحِ الطَّرِيقِ وَتَغْلِبُ
حَتَّى يَذُوقَ بِكَاسِ مَنْ عَادَانِي	لَيْسَ ابْنُ عَابِدَةَ الصَّلِيبِ بِمُنْتَهَى
قَصَدَتْ إِلَيْكَ مُجِرَّةُ الْأَرْسَانِ (3)	إِنَّ الْقَصَائِدَ يَا أَخْيَطِلُ فَاِعْتَرَفْ

1- المطلع: الضابط الأمر القوي.

2- يقول: نزع أي كف الفرزدق لما علم أنه مسبوق بالشرف.

3- مجرة الارسان أي مخلاة الطريق لا تحبس عنك.

مِثْلَ الْبِكَارِ لُزْزَنَ فِي الْأَقْرَانِ (1)	وَعَلِقَتْ فِي قَرْنِ الثَّلَاثَةِ رَابِعاً
عَمْرِي وَحَنْظَلْتِي وَلَا السَّعْدَانِ	مَا نَابَ مِنْ حَدَثٍ فَلَيْسَ بِمُسْلِمِي
نَصَبَتْ بَنُو أَسَدٍ لِمَنْ رَادَانِي (2)	وَإِذَا بَنُو أَسَدٍ عَلَيَّ تَحَدَّبُوا
صِيدُ الرُّؤُوسِ أَعِزَّةُ السُّلْطَانِ	وَالْغُرُّ مِنْ سَلْفِي كِنَانَةٌ إِنَّهُمْ
وَعَرِقَتْ حَيْثُ تَنَاطَحَ الْبَحْرَانِ	مَأَلَتْ عَلَيْكَ جِبَالُ غُورِ تِهَامَةٍ
مِثْلَ الْجَمَالِ طُلَيْنَ بِالْقَطِرَانِ	وَأَقْبَيْتَ رَايَةَ آلِ قَيْسٍ دُونَهَا
وَدَوَابِلًا يَخْطِرْنَ كَالْأَشْطَانِ	هَزَّوْا السُّيُوفَ فَأَشْرَعَوْهَا فِيكُمْ
يَتَسَاقَطُونَ تَسَاقُطَ الْحَمَانِ (3)	فَتَرَكَنْهُمْ جَزَرَ السَّبَاعِ وَقَلُّكُمْ
قَتَلَى يُقْبِحُ رَوْحَهَا الْمَلْكَانِ	تَرَكَ الْهُدَيْلُ هُدَيْلَ قَيْسٍ مِنْكُمْ
وَالْعَامِرَانِ وَلَا بَنُو دُبْيَانَ	فَإِخْسَاءً إِلَيْكَ فَلَا سُلَيْمٍ مِنْكُمْ
وَلَقُوا قَنَاتَكَ غَيْرَ ذَاتِ سِنَانِ	قَوْمٌ لَقِبْتَ قَنَاتَهُمْ بِسِنَانِهَا
فَاقْعُدْ بِدَارِ مَذَلَّةٍ وَهَوَانِ	يَا عَبْدَ خَنْدِفٍ لَا تَرَالُ مُعَبِّدًا
قَيْسٌ عَلَيْكَ وَخَنْدِفٌ أَخْوَانِ	وَالزَّمْ بِحِلْفِكَ فِي قُضَاعَةٍ إِنَّمَا

1- الثلاثة يريد بهم الفرزدق والبعيث وعمر بن لجا والرابع الأخطل.

2- راداني: أرادني، ورويت: راماني، تحدبوا: تعطفوا.

3- الفل: القوم المهزومون، الحمان: اللحم الصغار.

أَحْمُوا عَلَيَّ فَلَا تَجُوزُ بِمَنْهَلٍ	مَا بَيْنَ مِصْرَ إِلَى قُصُورِ عُمان <sup>(1)</sup>
وَالْتَغْلِيُّ عَلَى الْجَوَادِ غَنِيمَةً	بِئْسَ الْحُمَاءُ عَشِيَّةَ الْإِرْنَانَ
وَالْتَغْلِيُّ مُغْلَبٌ قَعَدَتْ بِهِ	مَسْعَاتُهُ عَبْدٌ بِكُلِّ مَكَانٍ
سَوْقُوا النِّقَادَ فَلَا يَجِلُّ لِتَغْلِبِ	سَهْلُ الرِّمَالِ وَمَنْبِتُ الضَّمْرَانِ
لَعَنَ الْإِلَهَ مِنَ الصَّلِيبِ إِلَهَهُ	وَاللَّابِسِينَ بَرَانِسَ الرَّهْبَانِ
وَالذَّابِحِينَ إِذَا تَقَارَبَ فَصْحُهُمْ	شُهَبَ الْجُلُودِ حَسِيَسَةَ الْأَثْمَانِ <sup>(2)</sup>
مِنْ كُلِّ سَاجِي الطَّرْفِ أَعْصَلَ نَابُهُ	فِي كُلِّ قَائِمَةٍ لَهُ ظِلْفَانِ <sup>(3)</sup>
تَغْشَى الْمَلَائِكَةُ الْكِرَامَ وَفَاتِنَا	وَالْتَغْلِيُّ جِنَارُهُ الشَّيْطَانِ
يُعْطَى كِتَابَ حِسَابِهِ بِشِمَالِهِ	وَكِتَابُنَا بِأَكْفَانِ الْإِيمَانِ
أَنْصَدِّقُونَ بِمَارِ سَرَجَسَ وَإِبْنِهِ	وَتَكْذِبُونَ مُحَمَّدَ الْفُرْقَانِ
تَلْقَى الْكِرَامَ إِذَا خُطِبْنَ عَوَالِيًا	وَالْتَغْلِيَّةُ مَهْرُهَا فِلْسَانَ
قَبَّحَ الْإِلَهَ سِبَالَ تَغْلِبِ إِنَّهَا	ضُرِبَتْ بِكُلِّ مُخَفِّفِ خَنَانِ

1- يقول: صيروا عليك الدنيا حمي، فليس لك منها شيء لذتك وقلتك.

2- تقارب فصحهم: أي عيدهم، شهب الجلود: يعني الخنازير لونها شهب.

3- الأعصل: الأعوج، الساجي: الساكن.

المبحث الثالث: دراسة فنية تحليلية للقصائد:

سنحاول في هذا المبحث أن نحلل هذه القصائد الثلاث مستخرجين أهم النقاط والخصائص التي برزت عند هؤلاء الشعراء والتي سبق وأن أشرنا إليها في الجانب النظري.

(1) بدايات الهجاء:

إن المدقق في هذه القصائد الثلاث يستشقُّ بأنها قيلت في بدايات دخول الأخطل في الهجاء، أي في أول قصيدة للأخطل يقم فيها نفسه في هذا الصراع، ويظهر ذلك جليا حين صرح في البيت الواحد والعشرين سماعه بمهاجاة جرير مع الفرزدق، ومفاخرتهما وأنهما طلبا أن يكون السلطان حكما بينهما، فأعلن هو رأيه فيهما، وأن كليبا قوم جرير لا يوازن دارما وقوم الفرزدق وذلك بقوله: (1)

وَأَقْدَ تَقَاسَمْتُمْ عَلَى أَحْسَابِكُمْ      وَجَعَلْتُمْ حَكَمًا مِنَ السُّلْطَانِ  
فَإِذَا كُنَيْبٌ لَا تُوَازِنُ دَارِمًا      حَتَّى يُوَازِنَ كَرْدَمٌ بَابَانَ  
فَإِذَا سَمِعَتْ بِدَارِمٍ قَدْ أَقْبَلُوا      فَأَذْهَبَ إِلَيْكَ مَخَافَةَ الطُّوفَانِ.

فيرد عليه جرير يلدغه لدغا لاذعا، يقول: (2)

كَذَبَ الْأَخْيَلُ إِنَّ قَوْمِي فِيهِمْ      تَاجُ الْمُلُوكِ وَرَايَةُ النِّعْمَانِ  
مِنْهُمْ غَنِيَّةٌ وَالْمَحَلُّ وَقَعْنَبُ      وَالْحَنْتَفَانُ وَمِنْهُمْ الزَّدْفَانُ  
إِنِّي لَأُعْرِفُ فِي السَّرَادِقِ مَنْزِلِي      عِنْدَ الْمُلُوكِ وَعِنْدَ كُلِّ رَهَانٍ

1- الأخطل، ديوان الأخطل، ص 14.

2- جرير، ديوان جرير، ص 363.

مَا زَالَ عَيْصُ بَنِي كَلَيْبٍ فِي جَمَى      أَشْبُ أَلْفِ مَنَابِتِ الْعَيْصَانِ

فيتدخل الفرزدق مدافعا عن الأخطل بقوله:

يَا ابْنَ الْمِرَاعَةِ وَالْهَجَاءِ إِذَا التَّقَتْ      أَعْنَاقُهُ وَتَمَاحِكَ الْخَصْمَانِ

مَا ضَرَّ تَغْلِبَ وَإِئِلَّ أَهْجَوْتَهَا      أَمْ بُلْتَ حَيْثُ تَنَاطَحَ الْبَحْرَانِ

يَا ابْنَ الْمِرَاعَةِ إِنَّ تَغْلِبَ وَإِئِلَّ      رَفَعُوا عِنَانِي فَوْقَ كُلِّ عِنَانِ

كَانَ الْهُدَيْلُ يَقُودُ كُلَّ طِمْرَةٍ      دَهْمَاءَ مُقْرَبَةٍ وَكُلَّ حِصَانِ

## (2) الاشتراك في بعض الملامح:

بحيث اشتركت مقدمتا الأخطل وجريير في حديث كليهما عن النساء حديث الشيوخ الذين فاتهم عصر الصبا، وانصرفت عنه النساء إلا أن الأخطل يسبق حديث النساء بحديثه عن الخمر ووصفها وسقياه لصديقه منها حتى إذا هبت ريح الشمال هيجت ذكراه للنساء، وكان لهذه الذكرى صدعا حزينا في نفسه، لأنه أحس فعلا بظهور الشيب على رأسه، وبالتالي يبدوا شيخا كبيرا تبتعد النساء عنه، ومع ذلك فهو يتذكر الفتيات الجميلات، وهو في نشوة الخمرة، فقد كان له عهد بهن ويذكر أسماءهن: ريا وأم أبان الحارثية (1)، وهذا ما نلمسه في قوله: (2)

يَكُرُّ الْعَوَادِلِ يَبْتَدِرْنَ مَلَامَتِي      وَالْعَالِمُونَ فَكُلُّهُمْ يُلْحَانِي

فِي أَنْ سَقَيْتَ بَشْرِبَةَ مَقْدِيَّةٍ      صَرَفٍ مُشْعَشَةٍ بِمَاءِ شِنَانِ

فَضَلَّتْ أَسْقِي صَاحِبِي مِنْ بَرْدِهَا      عَمْدًا لِأَرْوِيهِ كَمَا أَرْوَانِي

1- ينظر: ابتسام مرهون الصفار، آفاق الأدب في العصر الأموي، ص 210

2- أبو عبيدة عمر بن المثنى، نقائض جريير والفرزدق، ص 219.

وَذَكَرْتُ إِذْ جَرَتْ الشَّمَالُ فَهَيَّجَتْ      شَوْقًا لَنَا رِيًّا وَاُمَّ أَبَانَ

وَالْحَارِثِيَّةُ إِنِّي مُهْدٍ لَهَا      مَدْحًا يَثِيبُ بِهِنَّ كُلَّ مَكَانٍ

أما جرير فقد أشار إلى ذلك هو الآخر لكنه بدأ قبل ذلك بالوقوف على الأطلال التي خصها ببيت واحد لينتقل بعدها إلى مخاطبة حبيبة مغيبة تجعله يتحدث عن النساء عامة كحديث الأخطل، وأنهن ينصرفن عن ذي الشيب إذا شاخ، يقول: (1)

لَمِنَ الدِّيَارِ بِرُقَّةِ الرُّوحَانِ      إِذْ لَا نَبِيْعُ زَمَانِنَا بِرَّمَانَ

إِنْ زُرْتُ أَهْلَكَ لَمْ يُبَالُوا حَاجَتِي      وَإِذَا هَجَرْتُكَ شَفَّنِي هِجْرَانِي

هَلْ رَامَ جَوْ سُوَيْقَتَيْنِ مَكَانَهُ      أَوْ حَلَّ بَعْدَ مَحَلِّنَا البُرْدَانَ

رَاجَعْتُ بَعْدَ سُلُوهِنَّ صَبَابَةً      وَعَرَفْتُ رَسْمَ مَنَازِلِ أَبْكَانِي

أَصْبَحْنَ بَعْدَ نَعِيمِ عَيْشٍ مُؤْنِقٍ      قَفْرًا وَبَعْدَ نَوَاعِمِ أَخْدَانِ

قَدْ رَابَنِي نَزْعٌ وَشَيْبٌ شَائِعٌ      بَعْدَ الشَّبَابِ وَعَصْرِهِ الفَيْنَانِ

ثم نجده يسترسل في ذكرياته، فيصف تنعمه برفقة امرأة يصف جمالها ويشبه بها، بعدها يتخذ من الرحلة (يتبين فقط) سبيلا للبدء بالهجاء، ويفتتحه بهجاء قوم الفرزدق.

أما الفرزدق فلم يعن بالمقدمة، وإنما بدأ قصيدته مباشرة بهجاء جرير متخذا موقف تغلب- قوم الأخطل- فيمجدهم ويعدد مآثرهم.

1- أبو عبيدة معمر بن المثنى، نقائض جرير والفرزدق، ص 220.

3) الهجاء بالأنساب والأيام:

وهذا ما نلاحظه في هجاء الأخطل الذي يقوم على ثلب قوم جرير بوصفهم بالصفات الآتية:

- أنهم لا يحفظون محارم الجيران، وذلك في قوله:

قَبَحَ الإِلهُ بَنِي كُليبِ إِنَّهُمْ      لاَ يَحْفَظُونَ مَحارِمَ الجِيرانِ

- لا مكارم لهم يفتخرون بها، يقول: (1)

قَوْمٌ إِذا نَفَخَ الحِقِينُ بَطُونَهُمْ      لَمْ يَنْزَعُوا بِقَوَارِعِ الفُرْقانِ

وَإِذا تُنَوِّدَبَ لِلْمَكَارِمِ وَالعَلأ      لَمْ يَنْدُبُوا لِتَرَافِدِ الأَعوانِ

- لا مآثرة لهم، وإنما يعدون مفاخر غيرهم، وهذا ما نلاحظه في قوله: (2)

أَجْريرُ إِنَّكَ وَالَّذي تَسْمو لَهُ      كَأَسيفَةٍ فَخَرَتِ بِجِدجِ حَسانِ

أَتَعُدُّ مآثِرَةَ لِغَيْرِكَ ذِكْرُها      وَسَنائُها في سالفِ الأَمانِ

- إن أجداد يربوع رعاة، وذلك ما نلمسه في قوله: (3)

تاجُ المُلوكِ وَصِهرُها في دارِمِ      أَيامَ يَرَبوعُ مَعَ الرُعيانِ

1- الأخطل، الديوان، شرح سوزان عكاري، ص 163

2- ينظر: ابتسام مرهون الصفار، آفاق الأدب في العصر الأموي، ص 210

3- الأخطل، ديوان الأخطل، ص 167.

- أنهم وضعوا الأنساب، ولا يقاس نسبهم بنسب بني مجاشع قوم والفرزدق<sup>(1)</sup>، وهذا ما يبرز في قوله: (2)

وَأَقْدُ تَقَايِسْتُمْ عَلَى أَحْسَابِكُمْ      وَجَعَلْتُمْ حَكَمًا مِنَ السُّلْطَانِ  
فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِدَارِمٍ قَدْ أَقْبَلُوا      فَأَذْهَبَ إِلَيْكَ مَخَافَةَ الطُّوقَانِ

- إنهم جناء مغلوبون، ولذلك يذكر جريرا بالقتلى الذين غار عليهم رجال تغلب، ويظهر ذلك جليا في قوله:

وَإِذَا وَرَدَتِ الْمَاءَ كَانَ لِدَارِمٍ      عَفْوَاتُهُ وَسُهُولُهُ الْأَعْطَانِ  
أَنْسَيْتَ قَتْلَى بِالْكَلابِ وَحَابِسِ      وَبَكَيْتَ وَيَحْكُ بُرْقَةَ الرُّوحَانِ

وينقض جرير هذه المعاني واحدا بداية بقوله:

وَإِذَا لَقَيْتَ عَلَى زَرُودٍ مُجَاشِعًا      تَرَكَوْا زَرُودَ خَبِيئَةَ الْأَعْطَانِ  
قَتَلُوا الزُّبَيْرَ وَقِيلَ أَنَّ مُجَاشِعًا      شَهِدُوا بِجَمْعِ ضَيَاطِرٍ عُزْلَانِ<sup>(3)</sup>

فهنا يرد على الأخطل بأن بني مجاشع هم الذين لا يحفظون حرمة الجار لأنهم قتلوا ابن الزبير بعد أن استجار بهم، فبنو مجاشع لا يمكن أن يلجأ إليهم أحد ويأمنهم.

1- ينظر: شوقي ضيف، الأدب في العصر الأموي، ص 212.

2- الأخطل، الديوان، شرح علي مهدي زيتون، ص 167.

3- ينظر: ابتسام مرهون صفار، آفاق الأدب في العصر الأموي، ص 212

وإذا كان الأخطل هجا قوم جرير بأنهم لا مكارم لهم، فإن جريرا ينقض قوله هذا فيعدد مآثر قومه، وهزائم قوم الفرزدق، مشبها أجاد قومه بثقلها وشيوعها بالجبليين اللذين لا يمكن أن يطاولهما أحد أو يزيحهما من مكانهما، وهنا نجد يقول: (1)

كَذَبَ الْأَخِيطِلُ إِنَّ قَوْمِي فِيهِمْ	تَاجُ الْمُلُوكِ وَرَايَةُ النَّعْمَانِ
مِنْهُمْ عَتِيْبَةٌ وَالْمَجْلُ وَقَعَنْبٌ	وَالْحَنْتَفَانِ وَمِنْهُمْ الرِّدْفَانِ
إِنِّي لَيُعْرِفُ فِي السُّرَادِقِ مَنْزِلِي	عِنْدَ الْمُلُوكِ وَعِنْدَ كُلِّ رِهَانِ
مَا زَالَ عَيْصُ بَنِي كَلَيْبٍ فِي حِمَى	أَشْبِ أَلْفَ مَنَابِتِ الْعَيْصَانِ
الضَّارِبِينَ إِذَا الْكُمَاءُ تَنَازَلُوا	ضَرْبًا يَفْقُدُ عَوَاتِقَ الْأَبْدَانِ
وَحَمَى الْفَوَارِسَ مِنْ عُدَاةِ أَنَّهُمْ	نِعَمَ الْحُمَاءُ عَشِيَّةَ الْإِرْنَانِ

#### 4) الخطاب المباشر:

وذلك مثل ما نجده عند الفرزدق الذي يخاطب جريرا خطابا مباشرا في قوله: ( انزل .....، أهجوتها ... )

وكذلك ما نجده عند جرير حين يخاطب الأخطل أو الفرزدق مستخدما أسلوب النداء، وذلك في قوله: يا أخيطل، يا عبد تغلب، يا ذا العباية .

5 حشد الأيام والأحداث والوقائع:

فالمتابع المتخصص لهذه القصائد الثلاث يستشف بأنها حافلة بتراث القبائل التي ينتمي إليها هؤلاء الشعراء (جرير، الفرزدق والأخطل)، فهي تعد بمثابة سجل لأسماء أبطالهم وفرسانهم ووقائعهم، وهذا الفرزدق يذكرنا بأيامهم وبطولاتهم: (1)

كَانَ الْهُذَيْلُ يَقُودُ كُلَّ طِمْرَةٍ	دَهْمَاءَ مُقْرَبَةٍ وَكُلَّ حِصَانِ
يَصْهَلُنَ بِالنَّظَرِ الْبَعِيدِ، كَأَنَّمَا	إِرْنَانَهَا بِبَوَائِنِ الْأَشْطَانِ
يَقْطَعْنَ كُلَّ مَدَى بَعِيدٍ غَوْلُهُ	خَبَبَ السَّبَاعِ يُقَدِّنَ بِالْأَرْسَانِ
وَكَأَنَّ رَايَاتِ الْهُذَيْلِ، إِذَا بَدَتْ	فَوْقَ الْحَمَيْسِ، كَوَاسِرِ الْعُقْبَانِ

في حين قال جرير مكذبا الأخطل، مذكرا إياه ببعض أسماء فرسانهم:

كَذَبَ الْأَخْيَطِلُ إِنَّ قَوْمِي فِيهِمْ	تَاجُ الْمُلُوكِ وَرَايَةُ النِّعْمَانِ
مِنْهُمْ عُنَيْبَةُ وَالْمُحِلُّ وَقَعْنَبُ	وَالْحَنْتَفَانِ وَمِنْهُمْ الرِّدْفَانِ (2)

إلى أن يقول:

وَالغُرُّ مِنْ سَلْفِي كِنَانَةٌ إِنَّهُمْ	صَيْدُ الرُّؤُوسِ أَعَزَّةُ السُّلْطَانِ
مَالَتْ عَلَيْكَ جِبَالُ غُورِ تِهَامَةٍ	وَعَرَقَتْ حَيْثُ تَنَاطَحَ الْبَحْرَانِ
وَأَقْبَيْتِ رَايَةَ آلِ قَيْسٍ دُونَهَا	مِثْلُ الْجِمَالِ طُلَيْنَ بِالْقَطْرَانِ (3)

1- الفرزدق، ديوان الفرزدق، ص 540.

2- أبو عبيدة المثني، نقائض جرير والفرزدق، ص 220.

3- المرجع نفسه، ص 221.

ففي هذه الأبيات يذكر الفرزدق بأمجاد قومه وأجداده ومآثرهم وهزائم قوم الفرزدق.

## 6) السباب والشتم:

بحيث يكاد هذين الفرذين على كامل القصائد، فهذا جرير يقول مفتخرا بنفسه: (1)

وَلَقَدْ وَسَمْتُ مُجَاشِعاً وَلِتَغْلِبِ  
عِنْدِي مُحَاضِرَةٌ وَطُولُ هَوَانِ

فَيْسُ عَلَى وَضَحِ الطَّرِيقِ وَتَغْلِبُ  
يَتَقَاوِدُونَ تَقَاوِدَ الْعُمَيَّانِ

وقال مفتخرا بقبيلته: (2)

إِنَّا لَنَسْتَلِبُ الْجَبَابِرَ تَاجَهُمْ  
قَابِوسُ يَعْلَمُ ذَلِكَ وَالْجَوَانِ

وَلَقَدْ شَفَوَكَ مِنَ الْمُكْوَى جَنْبُهُ  
وَاللَّهُ أَنْزَلَهُ بِدَارِ هَوَانِ

وقال الفرزدق هو الآخر مفتخرا بقبيلته تغلب: (3)

كَانَ الْهُذَيْلُ يَفُودُ كُلَّ طِمْرَةٍ  
دَهْمَاءَ مُقْرَبَةٍ وَكُلَّ حِصَانِ

يَصْنَعُونَ بِالنَّظَرِ الْبَعِيدِ، كَأَنَّمَا  
إِرْنَانُهَا بِبَوَائِنِ الْأَشْطَانِ

يَقْطَعْنَ كُلَّ مَدَى بَعِيدٍ غَوْلُهُ  
خَبَبَ السَّبَّاعِ يُقَدِّنَ بِالْأَرْسَانِ

وَكَأَنَّ رَايَاتِ الْهُذَيْلِ، إِذَا بَدَتْ  
فَوْقَ الْخَمَيْسِ، كَوَاسِرُ الْعُقْبَانِ

1- جرير، ديوان جرير، ص 365.

2- المصدر نفسه، ص 366.

3- الفرزدق، ديوان الفرزدق، ص 610.

وقال الأخطل هاجيا جريرا: (1)

أجريرُ إنك والذّي تَسْمُو لَهُ كَأَسِيفَةٍ فَخَرْتُ بِحَدَجِ حَصَانِ

أَتَعُدُّ مَأْتِرَةً لِعَيْرِكَ ذَكَرُهَا وَسَنَاوُهَا فِي غَابِرِ الْأَزْمَانِ

فرد عليه جرير مفتخرا بنفسه وهاجيا الفرزدق: (2)

إِنِّي لَيُعْرِفُ فِي السَّرَادِقِ مَنْزِلِي عِنْدَ الْمُلُوكِ وَعِنْدَ كُلِّ رِهَانِ

مَا زَالَ عَيْصُ بَنِي كُأَيْبٍ فِي حِمَى أَشِيبِ أَلْفِ مَنَابِتِ الْعَيْصَانِ

الضارِبِينَ إِذَا الْكُمَاءُ تَنَازَلُوا ضَرْبًا يَفْدُ عَوَاتِقَ الْأَبْدَانِ

### (7) لغة القصائد الثلاث:

تبدو لغة القصائد الثلاث متفاوتة فهي جميلة في مقدمتي الأخطل وجرير مناسبة في هجائهما الشخصي، إلا أننا نلمح بعد قرائتنا لما وراء أسطرها أنها ثقيلة بعيدة عن اللغة الشاعرية حين يتحول الشعراء إلى مجرد مسجلين ومعددين لأسماء الفرسان أو الوقائع.

ولغة الخطاب الشعري متفاوتة هي الأخرى في هذه القصائد بتفاوت المعاني التي ينقضونها؛ فهي بين أسلوب الخطاب المباشر كما سبق وأشرنا، أو الحديث بلغة المفرد، أو الجماعة سواء المخاطبين أو الغائبين، فجرير مثلا حين يفتخر بنفسه يتحدث بلغة المفرد، وإذا تكلم عن الشباب والنساء في مطلع قصيدته، استخدم أسلوب المتكلم المفرد، لأن المعنى يخصه وحده كقوله مثلا: (قد زرت، قد راجعت، عرفت، راعني). (3)

1- الأخطل، ديوان الأخطل، ص 233.

2- جرير، ديوان جرير، ص 170.

3- ينظر: ابتسام مرهون الصفار، آفاق الأدب في العصر الأموي، ص 213-214.

وفضلا عن ذلك، فإنه كذلك حين يعتمد إلى هجاء الأخطل أو الفرزدق يستخدم صيغة المفرد أيضا على سبيل الخطاب أو الغائب، كقوله: (الماجينت، كذب الفرزدق، قل للمشور، جدعت).

أما الأخطل فإنه يخاطب جريرا بصيغة الخطاب المفرد مستخدما أسلوب الاستفهام المجازي حين يقول: أجزير، أتعء، أنسيت، أو يستخدم الخطاب المفرد مثل: وإذا وضعت، سمعت. وحين يكون الهجاء نقضا لمآثر جماعية، فإن الشاعر يلجأ إلى أسلوب الخطاب الجمعي في حالة الغياب والحضور<sup>(1)</sup> والخطاب مثل: (شهدوا، تركوا، ...)

ويخاطب جرير قوم الأخطل بصيغة الجمع، كقوله: نقايستم، وجعلتم ...، وكذلك حين يفتخر الأخطل بقومه مستخدما لغة الجماعة، مثل قوله: (وردوا، تركوا، هم قتلوا، قوم إذا وزنوا ...).

### 8 رسم الصور الكاريكاتورية:

تظهر الصور الكاريكاتورية في قصيدة جرير، حين يجعل الأخطل رمزا لكل قبيلة تغلب، بحيث يرسم له صورتين مهينتين، الأولى أنه عبد لا يستطيع أن يسعى في أي مكرمة، أما الثانية تجعل التغلبي إذا أراد أن يكون فارسا مقدما فإنه حتما سيكون غنيمة لأعدائه.

وكذلك نجد صورة أخرى يرسمها جرير للأخطل، وذلك حينما يخاطبه بـ "ياذا العباية" بما ترمز إليه العباة من لبس النساء.

1 المرجع نفسه، ص 214.

قال جرير: (1)

يَاذَا الْعَبَايَةَ إِنِّ بَشْرًا قَدْ قَضَى      أَنْ لَا تَجُوزَ حُكُومَةَ النَّشُونِ

وقد قيل بأنه فعلا لبسها يوم الجسر، لتخفى عن عيون الأعداء، فهو إذن جبان، فكيف أقحم نفسه في هذه المهاجاة.

### 9 الكرم:

بحيث يعتبر إكرام الضيف مما ترتفع به مكانة المرء، وعلى هذا النهج سار شعراء النقائض، كوصف استقبال الضيوف والأسرى، والقتال، ومن ذلك قول جرير متحدثا عن كرم قومه:

بَنِي مَالِكٍ مَنْ كَانَ لِلْحَيِّ مَعْقِلًا      إِذَا نَظَرَ الْمَكْرُوبُ أَيْنَ مَعَاقِلِهِ (2)

فقد وصف للمستجير بهم، إذ يقول:

لَنَا إِبِلٌ لَمْ تَسْتَجِرْ غَيْرَ قَوْمِهَا      وَغَيْرَ الْقَنَا صُمَّاً تَهْرُ عَوَامِلُهُ  
رَعَتْ مَنِبَتَ الضَّمْرَانِ مِنْ سَبَلِ الْمِعِي      إِلَى صُلْبِ أَعْيَارٍ تُرْنُ مَسَاحِلُهُ  
سَقَّتْهَا الثَّرِيًّا دِيمَةً وَاسْتَقَّتْ بِهَا      غُرُوبَ سِمَاكِيٍّ تَهَلَّلَ وَابِلُهُ  
تَرَى لِحَبِيبِيهِ رَبَابًا كَأَنَّهُ      غَوَادِي نَعَامٍ يَنْفُضُ الزَّفَّ جَافِلُهُ  
تُرَاعِي مَطَافِيلَ الْمَهَا وَيَرُوعُهَا      دُبَابُ النَّدَى تَغْرِيدُهُ وَصَوَاهِلُهُ  
إِذَا حَاوَلَ النَّاسُ الشُّؤُونََ وَحَادَرُوا      زَلَّازِلَ أَمْرٍ لَمْ تُرْعَهَا زَلَّازِلُهُ  
يُبِيحُ لَهَا عَمْرُؤٌ وَحَنْظَلَةٌ الْجَمِي      وَيَدْفَعُ رُكْنَ الْفَرِّ عَنْهَا وَكَاهِلُهُ

1- جرير، ديوان جرير، ص 367.

2- جرير، ديوان جرير، ص 393.

بَنِي مَالِكٍ مَن كَانَ لِلْحَيِّ مَعْقَلًا إِذَا نَظَرَ الْمَكْرُوبُ أَيْنَ مَعَاقِلُهُ (1)

فبعد وصف إبلهم ورعيتهما في الحمى لأنها إبل السادات من القوم عاد ليصف استقبالهم للمستجير بهم الذي اختارهم ووجه وجهه إليهم.

وفي ذات السياق قول الفرزدق:

أَنَا ابْنُ الَّذِي رَدَّ الْمَنِيَّةَ فَضُلُّهُ وَمَا حَسَبُ دَافَعْتُ عَنْهُ بِمُعُورٍ (2)

1- أبو عبيدة المثني، ديوان النفاضة، ج2، ص 268.

2- المرجع نفسه، ص 69.

خاتمة

## خاتمة:

بعد الدراسة المستفيضة لمجموعة من النصوص الشعرية التي حملت اسم النقيضة أو اقتربت منها-كما هو الحال مع بعض القصائد الجاهلية الإسلامية، وبعد التدقيق في النماذج التي اخترناها لتكون مادة تطبيقية لهذا البحث، خلصنا في الأخير إلى مجموعة من النتائج لعل أبرزها:

- أن هذا الفن وإن جزم بعض الدارسين أنه عرف اكتمالا في العصر الأموي، إلا أنّ هذا لا ينفي كون أن بعض القصائد التي سبقت الفترة الأموية اتّسمت بمجموعة كبيرة من الخصائص التي اتّسمت بها النقيضة في العهد الأموي، الأمر الذي جعلنا لا نقطع بالحكم على أنّ الاكتمال الفنّي للنقائض كان في هذا العصر، بل يمكن رده إلى فترا قبله.

- لقد توافرت لرواد هذا الفن مجموعة من الأسباب والدوافع أذكت ذخيرته، وقد تعددت مجالاتها وتأثرت بعوامل سياسية واقتصادية واجتماعية...الخ، فكانت من أهمّ الدعائم التي ساهمت في ذيوعه وانتشاره.

- لقد تنوّعت موضوعات النقائض بين الهجاء والفخر والرثاء والمدح، حتّى لا نكاد نجد نقيضة واحدة تتردّد منها-بغض النظر عن الرثاء- حيث تجدها مقرونة ببعضها البعض في القصيدة الواحدة غالبا.

- لقد اتّسمت النقائض الأموية -وخاصة نقائض جرير والفرزدق ببعض المميزات والخصائص الفنيّة وكان على رأسها تضمين للمعاني الإسلامية، كما تميّزت النقيضة بالطول، وتكرار القديمة التي استخدمها الجاهليون.

- كان للنقائض فضل كبير على اللغة وذلك لأنها أمدتها بثورة من الألفاظ، كما أكسبت المعاجم مادة غزيرة نتيجة لطول النقيضة.

- أثارت النقائض نشاطا أدبيا كبيرا قسّم العلماء والأدباء واللغويين فرقا اختلفت في المفاضلة بين الشعراء إلى شيع متباينة فكل جماعة تنتصر لشاعر وتفضّله على غيره من الشعراء.

- كانت النقائض عماد المجتمع العربي آنذاك ومسلسلا للأدب اليومي الذي ينتظره الجماهير في ترقب وشغف مع كل من جرير والفرزدق والأخطل.

# قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

- 1- ابتسام مرهون الصفار، آفاق الأدب في العصر الأموي، مكتبة الفلاح ودار حنين للنشر والتوزيع، ط1، 1425هـ/2005م.
- 2- ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تح، مفيد قميحة ونعيم زرور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1403هـ/1985م.
- 3- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1/1408هـ، 1998م.
- 4- أبو تمام، نقائض جرير والأخطل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د. ط)، 1922م.
- 5- \_\_\_\_\_، نقائض جرير والفرزدق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د. ط)، 1922م.
- 6- أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي البصيري، الشعر والردّ عليه في أيام العرب، مكتبة الآداب، القاهرة، (د، ط)، (د، ت).
- 7- \_\_\_\_\_، ديوان النقائض دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1998.
- 8- أبو عليّ بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د. ط)، 1418هـ، 1999م.
- 9- إحسان النص، العصبيّة القبلية ودورها في الشعر الأموي، دار الفكر، ط2، 1973م.

- 10- أحمد الشايب، الشعر السياسي إلى نهاية القرن الثاني، ط1، 1412هـ / 1992م.
- 11- \_\_\_\_\_، تاريخ النقائض، مكتبة النهضة المصرية، ط3، 1954م.
- 12- أحمد بن ابراهيم بن مصطفى، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، دار الكتب العلمية (د. ط)، (د. ت).
- 13- أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار النهضة، مصر، ط25 (د، ت).
- 14- أنطوان صلحاني، شعر الأخطل، دار الكتب العلمية، بيروت، (د ط)، 1891م.
- 15- الأخطل، الديوان، شرح سوزان عكاري.
- 16- \_\_\_\_\_، الديوان، مهدي ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1406هـ / 1986م.
- 17- الأصفهاني أبو الفرج عليّ بن الحسين الأموي القرشي، الأغاني، طبعة دار الكتب المصرية.
- 18- انعام موسى رواق، الحياة الاقتصادية وأثرها في الشعر الأموي، مؤسسة الوراق، عمان، الأردن، ط1، 2002م.
- 19- ثناء أنس الوجود، تجليات الطبيعة في الشعر الأموي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت).
- 20- جرير، الديوان، شرح محمد اسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، (د ط)، 1986م.
- 21- \_\_\_\_\_، شرح مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د. ط)، 1415هـ-1990م.

- 22- \_\_\_\_\_، الديوان، تحقيق نعمان محمد أمين طه، دار المعارف ط3، م1.
- 23- حسن الشيخ الفاتح، جرير مدينة الشعر، دار الجيل، بيروت، ط1، 1411هـ/1991م.
- 24- حسن توفيق العدل، تاريخ آداب اللغة العربية، دار أسامة، الأردن، عمان، (ب، ط)، 2002م.
- 25- حسين عطوان، نصوص من الأدب الأموي، دار المسيرة، ط1، 2005م-1426هـ.
- 26- خليل شرف الدين، الموسوعة الأدبية المسيرة (أبو فراس، الفرزدق، البحتري)، دار مكتبة هلال، بيروت، لبنان، (د. ط)، 1996م.
- 27- شوقي ضيف، التطور والتجديد في العصر الأموي، دار المعارف، القاهرة مصر، ط8، 1987م.
- 28- \_\_\_\_\_، تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي)، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1985م.
- 29- صلاح الدين الهادي، اتجاهات الشعر في العصر الأموي، دار الثقافة العربية، ط3، (د. ت).
- 30- عبد الرحمن محمد الوصي، النفاض في العصر الجاهلي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1423هـ/2003م.
- 31- عبد القادر القط، في الشعر الإسلامي والأموي، دار النهضة بيروت، لبنان، (د، ط)، (د. ت).
- 32- الفرزدق، الديوان، شرح علي مهدي زيتون، دار الجيل، بيروت ط1، 1417هـ-1997م.

- 33- عمر الفاروخ، تاريخ الأدب العربي القديم "الأدب القديم من مطلع الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية"، ج1، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1981م.
- 34- غازي ظليمات عرفان الأشقر، الشعر في العصر الأموي، دار الفكر، دمشق، (د ط)، 2008م.
- 35- فوزي محمد أمين، في شعر صدر الإسلام والعصر الأموي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د ط)، (د ت).
- 36- الفيروز الأيادي، مجد الدين بن يعقوب، قاموس المحيط، دار نوبليس، لبنان، بيروت، ط1، 2006.
- 37- لويس شيخو، شعراء النصرانية، مكتبة الآداب، القاهرة، (د، ت)، (د، ط).
- 38- مارون عبود، أدب العرب مختصر تاريخ نشأته وتطوره وسير مشاهير رجاله وخطوط أولى من صورهم، دار الثقافة، ط3، 1398-1399هـ، 1978م-1979م.
- 39- محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، دار مدني، جدة (د. ط). (د. ت)
- 40- محمد رضا مروى، الفرزدق حياته وشعره، دار الكتب العلمية ط1، 1990م.
- 41- محمد عبد المنعم الخفاجي، الآداب العربية، دار الجيل، بيروت، ط1، 1412هـ/1992م.
- 42- محمد مصطفى أبو شارب، في أدب العصر الأموي (دراسات ونصوص)، دار الوفاء، الإسكندرية، ط1، 2007م.
- 43- يوسف عيد، شرح ديوان جرير، دار الجيل، بيروت، ط1، 1413هـ-1992م.

الفهرس

الفهرس:

شكر وتقدير

إهداء

مقدمة ..... أ - ج

مدخل: الإرهاصات الأولى لفن النقائض ..... 4 - 18

**الفصل الأول: موضوعات النقائض وخصائصه الفنية** ..... 19

تمهيد ..... 20

المبحث الأول: فن النقائض تعريفه ولغته وأسبابه ..... 21 - 32

المبحث الثاني: موضوعات فن النقائض ..... 33 - 39

المبحث الثالث: خصائص فن النقائض ..... 39 - 49

**الفصل الثاني: الدراسة الفنية** ..... 50

تمهيد ..... 51

المبحث الأول: نبذة عن حياة الشعراء (جرير، الأخطل والفرزدق) ..... 52 - 62

المبحث الثاني: نماذج شعرية ..... 63 - 72

84 - 73.....المبحث الثالث: الدراسة الفنية التحليلية

88 - 86..... خاتمة

92 - 89..... قائمة المصادر والمراجع

95 - 94..... الفهرس